

www.alrased.net

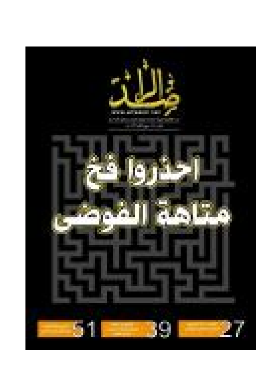

سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٧٥ ربيع الثاني ١٤٣٩هـ


# احذروا فخ متاهة الفوضى



# المحتويات




رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٧٥)
ربيع الثاني ١٤٣٩هـ

www.alrased.net
info@alrased.net

## فاتحة القول



## فرق ومذاهب



## سطور من الذاكرة



## دراسات



## كتاب الشهر



## قالوا



## جولة الصحافة

## احذروا..
## فخ متاهة الفوضى!

**لا بد من التنبه منذ البداية** إلى أن أمتنا الإسلامية قطعت أشواطًا جيدة في مسيرة تقدمها ونهضتها خلال القرن الماضي، فعلى الصعيد المعنوي هناك تزايد في التمسك بالالتزام الديني، وانحسار للأفكار الضالة؛ كالصوفية الخرافية، والطقوس البدعية والشركية العامة، والانغرار بالتشيع وشعاراته، كما أن هناك تزايدًا في أداء أركان الإسلام، والحرص على نشر العلم الشرعي، والدعوة إلى الله ﷻ، كما أنّ هناك تراجعًا في مساحة الأميّة في العالم الإسلامي.

**بينما على الصعيد المادي**؛ نجد هناك تحسنًا في مستوى الخدمات التعليمية والصحية والبنْية التحتية؛ من الطرق والمستشفيات والمدارس والجامعات، وانتشار خدمات الماء والكهرباء والاتصالات، وهناك قطاع واسع من المسلمين -أفرادًا وشعوبًا ودولًا- تجاوز مرحلة الفقر والعوز والجهل والتخلف.

**نعم، لم نصل للحالة المطلوبة والمنشودة**؛ سواء على مستوى رقيّنا التاريخي أو بالمقاييس المادية المعاصرة، لكن بالتأكيد أن هناك حالة من التقدم والرقي تشهدها الأمة بعمومها؛ حتى رغم ما تعانيه بعض البلدان من حروب طائفية واستعمارية فإن القوة النفسية للأمة ظهرت فيها بوضوح؛ عبر الإصرار على المقاومة والجهاد رغم قلة الإمكانيات، وأظهرت القوة الكامنة في أمتنا من خلال الاختراعات البسيطة والهامة التي حلّت بعض المشاكل الحياتية بسبب الظروف الصعبة؛ كتوليد الكهرباء من أمواج البحر في غزة، أو توليد غاز الطبخ من مخلّفات الحيوانات في سورية، أو من خلال تطوير بعض الأسلحة في ساحات المقاومة والجهاد بإمكانيات بسيطة.

**لهذا كله «يتداعى الأكلة» من مختلف الجهات على أمتنا المسلمة اليوم** برغم ما بينهم من صراعات وخلافات؛ حيث يشنون عليها كل أنواع الحروب العسكرية والنفسية والفكرية والأخلاقية، والاختراق ودعم الفرق الضالة والمنحرفة، وتشجيع الفتن والخلافات وتوسيع نطاقها.

**هذه الحالة المتفاقمة من التكالب على أمتنا المسلمة** تهدف إلى جرّنا لمتاهة الفوضى حتى نضيع فيها، وتذهب قوتنا التي راكمناها خلال العقود المنصرمة على مستوى الأفراد والشعوب والمجتمعات والدول؛ عبر إدخالنا في حروب بينية على مستوى الدولة الواحدة، حيث يُحرّض الشعب على السلطة، والسلطة على الشعب، أو بين فئات المجتمع الواحد، أو على مستوى صراعات بين الدول أو بين المجتمعات، مما يدخلنا في دوامة رهيبة نطحن فيها أنفسنا دون أي ثمرة!

**ومن الأدوات المستخدمة في إشعال هذه الحروب البينية**: نشر الأكاذيب والشائعات عبر وسائل الإعلام التي تحرّض على دول أو قادة أو مؤسسات وجماعات، بدون أدلّة وبدون بيّنات، مما يثير حفيظة البعض فيعادي ويهاجم، ويتولد عن ذلك ردة فعل معاكسة لا تتحكم بعواطفها؛ فتقوم بالرد بأكاذيب جديدة، فتلّوث الجو وتشحن النفوس، ونعيد سيرة البسوس وداحس والغبراء!

**ومن الأدوات المستخدمة:** دعم الأعداء لبعض فرق الضلال بشكل مباشر أو غير مباشر، فكلنا شاهد كيف تم توظيف (داعش) لخدمة عدة أجندات معادية للإسلام؛ برغم تصارع هذه الأجندات مع بعضها البعض.

**ولا تزال ورقة داعش والتطرف والإرهاب** يتلاعب بها أعداء الإسلام، ويحرقون بها الأغبياء والمغفلين من الشباب الجاهل والقيادات المخترقة والمجرمة.

**وعلى المنوال نفسه؛** فإن هناك اليوم دعوات دولية لإعادة توظيف بعض الطرق الصوفية -على وجه الخصوص- وما يتقاطع معها من مذاهب؛ كبعض الأشاعرة والأحباش، ودعاة التعصب المذهبي في محاربة التطرف؛ وإن كانوا يقصدون في الحقيقة: محاربة الإسلام نفسه.

**والدليل على ذلك:** أن من يدعم هذه المخططات في النهاية قوى عسكرية معادية لنا؛ كـ «مركز راند الأمريكي» التابع لوزارة الدفاع الأمريكية، أو القيادة الروسية المجرمة بقيادة بوتين؛ والتي تـوارت خلف قاديروف -رئيس الشيشان- لمهاجمة أهل السنة وتحريف مفهومهم؛ بإخراج الحنابلة والسلفيين من أهل السنة في مؤتمر «جروزني» المعروف.

**ومن الأدوات المستخدمة لإدخال المسلمين إلى متاهة الفوضى:** فسح المجال لإيران أن تعيث في دولنا الإرهاب والعدوان والاحتلال من جهة، وتكبيل من يحاول التصدي لها؛ عبر قرارات دولية وانتقادات من منظمات حقوق الإنسان!

**ومن أدوات نشر الفوضى وإغراقنا في المتاهة:** كذبة المفاوضات الدولية، فمنذ مفاوضات استقلال الدول العربية، ومن ثم مفاوضات السلام مع اليهود، وأخيرًا المفاوضات السورية لا تُنتج هذه المفاوضات إلا تكبيل يد المعارضة، وإنقاذ ودعم وحماية وتقوية الطرف المجرم المعتدي.

**ومن أدوات توسيع متاهة الفوضى:** تعاون القوى الدولية مع قوى إرهابية؛ ككثير من المنظمات الكردية، ودعمها بالسلاح في وجه الثورة السورية وحليفها التركي؛ سواء من أمريكيا أو روسيا!

**ومن أدوات دعم متاهة الفوضى:** القرارات الخطيرة التي تعمل على تفجير أحوال الأمة وضرب بعضها ببعض؛ كقرار المتهور ترامب بنقل السفارة، والذي لا مبرر له ولا لتوقيته إلَّا إدخال المنطقة في دوامة ومتاهة لا تخرج منها!

**ومن مداخل متاهة الفوضى:** المواقف الكارثية للسلطات الحاكمة في دولنا، والتي لا منطق لها ولا فائدة! ويقف خلفها لوبيات منتفعة ماليًّا، أو لها ارتباطات خارجية أو داخلية، فهي تستعدي فريقًا من سكانها ظلمًا، أو تناصر ظالمًا يعتدي على شعبه، أو تسمح للانحلال والفجور بالتزايد، أو تتقاعس عن خدمة مواطنيها والتصدي للمخاطر الزاحفة بما يناسبها.

**ويقابل هذا: مواقف المعارضات العربية والإسلامية،** فبعضها مرتبط بالمشاريع الخارجية الأمريكية والروسية والإيرانية، وبعضها لا يقل فسادًا عن السلطات الحاكمة، ويفتقد لأي برنامج حقيقي للإنقاذ.

**إن كل هذه الأدوات المتناقضة والمتعارضة والمتطابقة والمتقاطعة** والتي تستخدم ضدنا تولّد حالة من التوهان والفوضى لا يمكن الإمساك بخيوطها وفهم تشابكاتها وتعقيداتها؛ مما قد يجرّنا لليأس والقنوط، وهذا انتحار، أو يجرنا لردة فعل غير محسوبة، وهذه مصيبة إضافية، وتجرنا لمتاهة من الفوضى والحروب الداخلية و«تصومل» كل مجتمع وبلد ينزلق لهذه المتاهة؛ والتي لا يعرف لها قرار أو نهاية زمنية تنتهي عندها!

**هذا هو حالنا اليوم: واقع مركب معقد؛** لا يوجد فيه حليف شريف في كل القضايا، ولا توجد فيه سلطة مصيبة وناجحة في كل

الملفات والقضايا، ولا توجد معارضة مثالية وناجحة، ولا توجد قوة كافية لنصرة الحق على كل الأصعدة، وقبل هذا كله لا يملك أحد تصورًا صحيحًا وسليمًا وكاملًا للمشهد الإسلامي بكامله؛ فضلًا عن أن يكون عنده القدرة لتنفيذ وحماية رؤيته وتصوره.

**فما العمل؟ وما الحل؟**

**لا توجد وصْفة سحرية، ولا توجد وصفة كاملة! ولكن هذه بعض الأفكار والتوصيات، نأمل أن تكون نافعة في هذا الواقع الصعب، وأن تجنّبنا متاهة الفوضى:**

**١- أي حلّ لا يحافظ على المكاسب الموجودة ويفرط فيها:** ليس حلًّا؛ إلا إذا كان يقلل -يقينًا- شرًّا واقعًا أكبر منه.

**٢- يجب تجزئة الحلول والمعالجات،** فما نقبله هنا قد لا نقبله هناك، وما يمكن إنجازه هنا ننجزه، ونترك ونتجاوز ما لا يمكن إنجازه الآن.

**٣- تحديد الأعداء ودرجاتهم وأهدافهم قبل التعامل معهم،** فلا نُخدع بكلامهم، بل نعمل على الاستفادة من تناقض مصالحهم ورغباتهم.

**٤- لا تحالفات دائمة ولا حروب دائمة،** يجب استعمال الهدن بما يقوي صفَّنا، وليس بما يمنح العدو وقتًا ليرتب أوراقه ضدنا.

**٥- التصدي للشرور وهي صغيرة أسهل بكثير من تركها تكبر،** وتصبح مشكلة يصعب حلّها؛ كمشكلة داعش -مثلاً-؛ التي تأخر العلماء والأمراء في حلّها فتعاظمت، واليوم هناك مشاكل من هذا النوع يجب حسمها مبكرًا.

**٦- أثبتت الأحداث أن العقلية التي تُدار بها سياسة الدول والمعارضة** عقلية بائسة تحتاج إلى مراجعة وتطوير.

**٧- لا يزال سلاح الإعلام والوعي غير مفعّل بالشكل السليم،** ولا يعبّر عن مصالح الأمة، فالغالبية هم بين مخلصين أميين إعلاميًّا، ومتقنين لكنّ ولاءهم مضروب!

**٨- لا بد من الوعي بأن الزمن في صالحنا** مهما لحق بنا من مصائب وخسائر، فلا نيأس.

**٩- لا بد من الحرص على نقاط الالتقاء ودوائر الاجتماع** بالنسبة لكل قضية على حدة.

**١٠- أمتنا تحوي الكثير من الطاقات والقدرات والمعادن النبيلة والثمينة،** وفي كل الشرائح، وعلى كل المستويات.

**والتحدي الأعظم هو: كيف ترتبط هذه الفرص بشكل سليم لإنجاز الكثير من المبادرات والمهام الرائدة لنصرة أمتنا؟**

# حكاية جماعات العنف
# من الانحراف إلى فكر الخوارج (٩)

أسامة شحادة- كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

**تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر**؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

**وهذه طبيعة الضلال والانحراف**، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع؛ حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ!»[1]، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

**في هذه السلسلة سنتناول**: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخَّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

**وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو**: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردَّات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

## أولًا: الساحة المصرية

### ٧- تنظيم «الشوقيين»، وتنظيم «الناجين من النار» -هوامش على تاريخ التطرف والعنف-

**من عادة تنظيمات العنف والتطرف والغلو**: الانقسام والتشرذم منذ ظهور الخوارج الأوّلين في مطلع الإسلام، وزيادة الغلو مع كل انشقاق وتشرذم، وأن اللاحق -وهو أكثر جهلًا- يصبح أكثر عنفًا!

**ولم تكن الساحة المصرية بمنأى عن ذلك**؛ فقد ظهرت تنظيمات العنف بشكل متشرذم في الأصل، ثم تجمعت قبيل مقتل السادات ثم عادت للانشطار بسبب قضية ولاية الضرير والأسير، وبعدها حدثت عدة تشرذمات هنا وهناك، لكن أبرزها كان: تنظيم «الشوقيين»، وتنظيم «الناجون من النار»، واللّذين سنعرف بهما في هذه الحلقة.

**تنظيم «الشوقيين»**[1]:

**ينسب لمؤسسه شوقي الشيخ**، وهو مهندس مدني، بدأ انحرافه في مسار الغلو والتطرف على يد طارق الزمر، فبعد أن كان من تلاميذ الشيخ يوسف البدري -أيام دراسته للهندسة في سبعينيات القرن المنصرم-، تعرّف على طارق الزمر؛ الذي ضمّه لتنظيم الجهاد، ومن هنا بدأت الكارثة!

**سُجن شوقي في (سبتمبر ١٩٨١)** -مع اغتيال السادات- لعدة شهور، ولكنه بقي منتميًا للتنظيم، ولما خرج من السجن ذهب يبحث عن بقاياه في منطقة الهرم؛ حيث تعرف على الزمر أول مرة، لكنه لم يوفق بالعثور على بقايا للتنظيم.

**فلم يستسلم شوقي، وانضم في سنة (١٩٨٦)** لتنظيم آخر يحمل نفس التوجّه، لكن سرعان ما انكشف هذا التنظيم، وألقي القبض مجددًا على شوقي وعاد لسجن طرة.

**هناك في السجن** -وهو البيئة المثالية لنمو التطرف والغلو وتمدّده- التقى ببعض قادة تيار «التوقف والتبين»[2]، ودخل معهم في نقاشات متعددة، أفضت به إلى اعتناق رؤية «التوقف والتبين»، لكنه زاد عليها أن لا يتوقف ولا يتبين بل يحكم بكفر كل من يخالفه، وهذه طبيعة الغلو أنها تتزايد وتتعاظم مع الزمن؛ خاصة مع وجود عامل السجن والتعذيب من السلطة، والجهل وقلة العلم الشرعي لدى الأفراد؛ فإن النتيجة دومًا هي: تشكل أنواع جديدة أكثر تطرفًا في التكفير وعنفًا في القتل!!

**تكوّنت في شوقي الشيخ خبرة تنظيمية**، اكتسبها من تنظيم الجهاد سابقًا، مكّنته من تجنيد حوالي ألف شاب من قرى منطقته بمركز أبشواي بمحافظة الفيوم، وقد جمع شوقي في فكرِه وتنظيمه الجديد بين تكفير المخالفين له -بتأثير تيار «التوقف والتبين»-، وبين حمل السلاح ضد الدولة الكافرة -بتأثير فكر «الجهاد القديم»-، ولذلك ورّط نفسه وأتباعه في صراعات دموية مع السلطات الرسمية، بدأت بقتل شوقي لخفير نظامي وسلبه سلاحه، وأسفرت في النهاية عن قتل شوقي شخصيًّا عام (١٩٩٠).

**وفتح مقتله المزيد من دوامة العنف لدى أتباعه**؛ خاصة أن بعض قادة جماعة الجهاد رأوا في ذلك فرصة لإضعاف النظام؛ عبر صراع دموي مع الشوقيين، فأمّدهم بعض قادة الجهاد -مثل: نزيه راشد- بالقنابل اليدوية، مما ساهم في إطالة أمد صراع الشوقيين مع الدولة من سنة (١٩٩٠) إلى سنة (١٩٩٤م)!

**وتركزت عمليات الشوقيين في (الجهاد)** على سرقة محلات الذهب التي يملكها نصارى ثم بيعها لتجار نصارى آخرين، والعيش من مال هذه الغنائم! وكم من أرواح سلبت في حروب الوكالة هذه وغيرها بين الشباب والجيش والأمن؟! ولم يستفد منها إلا الأعداء!

**تمكنت السلطة المصرية من القبض على قادة الشوقيين وسجنهم**، فانطفأت نارهم، وبقي الحال على هذا حتى فاز الإخوان المسلمون بـ (٢٠%) من مقاعد برلمان (٢٠٠٦)؛ فأطلق سراحهم، مما فسر بأنه تلاعب من السلطة بورقة الغلو والتطرف ضد فوز الإخوان، وكم جرّت مثل هذه السياسات البغيضة والرعناء من كوارث على أمتنا -لليوم-؟! ولعل كوارث داعش من آخرها.

**ويبدو أن الشوقيين لزموا الهدوء، وتركوا الصدام مع**

---

(١) المرجع الرئيس عن الشوقيين هو: «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص١٦١).

(٢) فكرة التوقف في الحكم على الشخص وتبيّن إسلامه ومعتقداته بدأت مع مجموعة القطبيين في السجون المصرية، وكانت قنطرة لشكري مصطفى لتبني فكر التكفير العام للناس، ثم اشتهر بها عبد المجيد الشاذلي، وأصبح منظرها الأول. انظر: «ثورة قلم: وقفة مع التيارات الصدامية»، أحمد الشحات، الأمل للطبع والنشر، (ص١٣٩)، «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص١٥٧).

**الدولة منذ الإفراج عنهم**، لكن في شهر (إبريل ٢٠١٥) تحركت وزارة الأوقاف المصرية لتنزع منهم عدة مساجد يسيطرون عليها في منطقتهم أبشواي[١].

**يتداول كلام عن علاقة الشوقيين بجماعات العنف بسيناء**، خلاصته: أنه حين تم قتل شوقي فرّ عدد من أتباعه إلى سيناء، وكوّنوا هناك جماعة موسّعة، استقطبت عناصر من تنظيمات أخرى، وأنه عقب ثورة (يناير ٢٠١١) هرب بعض مساجين الشوقيين من السجون لسيناء[٢].

**على هامش «الشوقيين»[٣]:**

**بعد إزاحة شوقي من المشهد** برزت شخصية جديدة تسير على نهج شوقي؛ وإن لم تلتقِ به، وهو: حلمي هاشم، وهو رائد شرطة سابق في تنظيم الجهاد، تم تجنيده للتنظيم بواسطة المقدم عبد الرحمن شحاته، ولعله من مجموعة عصام القمري.

**ودور العسكريين في تنظيمات الغلو والتطرف** -قديمًا وحديثًا- بحاجة لدراسة عميقة، فكثير من إجرام داعش وإرهابه قام به قيادات عسكرية ذات جذور بعثية!!

**وعلى غرار شوقي الشيخ في السجن** التقى حلمي هاشم بمجموعة من سوهاج تعتنق أفكار شوقي؛ رغم عدم صلتها المباشرة به! فاعتنق حلمي هذه الأفكار، ولما خرج من السجن أنشأ مكتبة لبيع الكتب، وألّف هو (١٠) كتيبات تحت اسم: شاكر نعمة الله، تشرح وتبين فكر شوقي، فانتشرت كثيرًا في تسعينيات القرن الماضي، وبذلك أعاد إحياء فكر شوقي ونشره؛ لأن الأخير لم يترك خلفه منهجًا مكتوبًا.

**وقد فاوض حلمي الأجهزة الأمنية بمنحه حرية الحركة والنشاط**؛ على أن ينبذ حمل السلاح، ويعارض من يدعو لذلك من الشوقيين، وفعلًا كانت السلطات تفرج عن أي شخص يعتقل ويتضح أنه مؤيد لحلمي هاشم، وبقي الحال على ذلك حتى عام (١٩٩٨)؛ حيث كشف عن امتلاك عدد من أتباعه كميات من الأسلحة المتطورة، فاعتقل حلمي، لكن تم الإفراج عنه في (٢٠٠٨).

**ويبدو أن حلمي استغل الفوضى بعد ثورة (٢٥ يناير ٢٠١١) للتحرك والنشاط**، ولذلك تم القبض عليه وتقديمه للمحاكمة في (٢٠١٥) بتهمة تكوين خلية إرهابية جديدة[٤]، وصدر الحكم عليه بالسجن (٥) سنوات[٥]، وليس صحيحًا أنه سافر للعراق وسوريا والتحق بداعش، ولكن يبدو أن بعض كتبِه معتمدة عند داعش، ويروّج لها كثير من منظري الغلو والتطرف ويوصون شبابهم بها.

**تنظيم «الناجون من النار»:**

**مرة أخرى يبرز في مسيرة وحكاية الغلو والتطرف في مصر** هامش جديد يكون أكثر غلوًّا وتطرفًا في الأفكار، وأكثر عنفًا في الإرهاب؛ حيث التقى في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي الطبيب مجدي الصفتي عضو تنظيم الجهاد[٦] في السبعينيات- بأحد منظري فكر «التوقف والتبين» التكفيري، وهو: مصطفى الخضيري[٧]؛ والذي يعد من رموز المجموعة القطبية التي ساهمت

(١) «اليوم السابع»، http://cutt.us/DyHx

(٢) «دماء على رمال سيناء، القصة الكاملة للتنظيمات الجهادية الجديدة في مصر»، ماهر فرغلي وصلاح الدين حسن، (ص٧١، ٧٨).

(٣) «بين فقهاء القاعدة وفقهاء داعش، حلمي هاشم نموذجًا»، ضياء يوسف العظمة، المكتب العربي للمعارف، «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص ١٦٥).

(٤) موقع «الأسبوع»، http://cutt.us/m٩xC٨

(٥) موقع «مصراوي»، http://cutt.us/ykobB

(٦) «دليل الحركات الإسلامية المصرية»، عبد المنعم منيب، (ص١٥٨).

(٧) مقال (الصفتي، الرجل الذي زرع التكفير في سيناء)، ماهر فرغلي، موقع «البوابة».

في بروز عدة جماعات إرهابية؛ كمجموعة مصطفى شكري وشوقي الشيخ، والآن مجموعة مجدي الصفتي أو تنظيم «الناجون من النار».

**هذا الالتقاء المتكرر لطالب الطب بالخضيري** تسبب في انتقال الصفتي من فكر الجهاد؛ الذي يكفّر الحكام إلى فكر «التوقف والتبين»؛ الذي يكفّر عموم الناس ولا يعذرهم بالجهل، ولكنه بقي منهج تنظيم الجهاد باعتماد العمل العسكري للتغيير والعمل.

**وقد كان تعيير الجهاديين للقطبيين وأعضاء «التوقف والتبين»** بأنهم يقتصرون على الكلام دون فعل أو جهد حقيقي على أرض الواقع لدفع مجدي الصفتي لإثبات خطأ هذا التعيير؛ فقام بتشكيل تنظيم عسكري، ونفذ عدة عمليات ضخمة.

**كانت الخطوة الأولى للصفتي هي:** تأسيس تنظيم خاص به في الجيش، بعد بدئه خدمته الإلزامية، عقب تخرجه من كلية الطب، وسماه: «تنظيم الفرقة الناجية»، ولكن الاسم الإعلامي الذي راج هو: «الناجون من النار»، وهما يحملان نفس المعنى، وكان غالب أعضائه من أعضاء سابقين بتنظيم الجهاد!![1].

**تأسس التنظيم في سنة (١٩٨٣)، واستكمل بناؤه في (١٩٨٦)**؛ فاستقطب الكوادر، ودرّبهم على صنع القنابل[2]، ثم قام بثلاث عمليات إرهابية، استهدفت اغتيال اللواء حسن أبو باشا في (مايو ١٩٨٧)، لكنه نجا مع إصابته إصابة خطيرة.

**وكانت العملية الثانية في (يونيو ١٩٨٧)** بمحاولة اغتيال مكرم محمد أحمد -رئيس تحرير مجلة «المصور»-.

**والثالثة في (أغسطس ١٩٨٧)** ضد وزير الداخلية الأسبق اللواء النبوي إسماعيل، لكن مكرم والنبوي لم يقتلا ولم يصابا في العملية[3].

**تسببت هذه العمليات في حملة اعتقالات وتعذيب لكثير من كوادر الجماعة الإسلامية**؛ لأن السلطات لم تكن تعلم عن وجود هذا التنظيم[4]، لكن تمكنت قوات الأمن من تتبع منفذي العمليات، والقبض على عدد من أعضاء التنظيم، وقتل بعض المنفذين، وعندها فهموا وجود تنظيم جديد، إلا أن مجدي الصفتي تمكّن من الفرار من مصر إلى اليمن، وعاد لمصر بعد (٦) سنوات، وتم رصد مكالمة له اعتقل على إثرها في سنة (١٩٩٣) وحكم عليه بـ (٢٥) عامًا سجنًا مع بقية رفاقه[5].

**في السجن تراجع أغلب رفاق مجدي عن فكر «التوقف والتبين»، واستمروا على فكر الجهاد**[6]، بينما بقي مجدي على فكره المتطرف، وقد عوض عن خسارته لتأييد رفاقه له بنشر فكره بين شباب سيناء؛ إذ «بخطأ فادح، خشي وزير الداخلية الأسبق حبيب العادلي اعتقال شباب سيناء المتهمين في حادثي طابا وشرم الشيخ في عامي (٢٠٠٤ و٢٠٠٥)، مع مسجوني الإخوان، أو مسجوني الجماعة الإسلامية، فوضعهم في زنازين التكفير مع مجدي الصفتي؛ الذي نقل لهم فكر «التوقف والتبين» حرفيًّا، وخرج ما لا يقل عن (٤٠٠) منهم محملين بهذا الفكر، لينشئوا فيما بعد أكثر من

(١) مقال (الصفتي، الرجل الذي زرع التكفير في سيناء)، ماهر فرغلي، «موقع البوابة»، «دماء على رمال سيناء، القصة الكاملة للتنظيمات الجهادية الجديدة في مصر»، ماهر فرغلي وصلاح الدين حسن، (ص٢٣١).

(٢) «دماء على رمال سيناء، القصة الكاملة للتنظيمات الجهادية الجديدة في مصر»، ماهر فرغلي وصلاح الدين حسن، (ص٢٣٢).

(٣) المصدر السابق، «دليل الحركات الإسلامية المصرية» (ص١٥٩).

(٤) «الجماعات الإسلامية المصرية المتشددة»، ممدوح الشيخ، (ص٥٥).

(٥) المصدران السابقان.

(٦) «دليل الحركات الإسلامية المصرية» (ص١٦٠).

(١٩) جماعة سيناوية، منها: (أنصار الإسلام، وأنصار الدين، وبيت المقدس، وجند الله، وجند الإسلام)... إلخ»، وقامت جماعة بيت المقدس بمبايعة (داعش)، وبدلت اسمها لـ «ولاية سيناء»[١].

**بقي مجدي ورفاقه في السجن حتى قامت ثورة (٢٥ يناير ٢٠١١)**، فهرب ضمن من هرب من السجناء، ولكن تم إعادة القبض عليه لاحقًا[٢].

**ويبدو أنه في مرحلة الثورة** استعاد التنظيم بعض نشاطه في منطقة القناطر الخيرية، ويبدو أن بعض الأعضاء الذين تم الإفراج عنهم التحقوا بجماعتهم في سيناء[٣]، ولذلك فإن «الناجون من النار» لم ينتهوا، فبعضهم في سيناء وبعضهم في محافظات الدلتا؛ لأن الامتداد واحد[٤].

**ولا يزال فكر «التوقف والتبين» موجود في مصر**، لكنه لا يتبنى العمل المسلح؛ كما كان حاله قبل «الناجون من النار»، ويقدر عددهم في مصر بين (١٠٠٠-٢٠٠٠) شخص[٥].

## الخاتمة

**مسار الغلو والتطرف والعنف والإرهاب لا يزال يتدحرج ويكبر؛** بجهل أفراده وظلم السلطة وسوء تصرفها، ولكن المجتمع هو من يدفع الثمن مِن أمنه، كما أن الدين يتعرض لردّات فعل سيئة ومقصودة؛ من التشويه، وكيل الاتهامات له من كثير من أعداء الدين، مما يخلق مناخًا مناسبًا للتطرف، ولا يساعد على علاج مشكلة الغلو والتطرف العنف والإرهاب.

(١) مقال (الصفتي: الرجل الذي زرع التكفير في سيناء)، ماهر فرغلي، «موقع البوابة».

(٢) الداخلية توجّه ضربة للجماعات المتطرفة ضبطت زعيم تنظيم (الناجون من النار)، محمود عبد الراضي، «اليوم السابع».

(٣) مقال (الصفتي: الرجل الذي زرع التكفير في سيناء)، ماهر فرغلي، «موقع البوابة».

(٤) «دماء على رمال سيناء، القصة الكاملة للتنظيمات الجهادية الجديدة في مصر»، ماهر فرغلي وصلاح الدين حسن، (ص٢٣٤).

(٥) «دليل الحركات الإسلامية المصرية» (ص١٦٠).





## ثورات الخوارج (١٥):
## قتال الأزارقة بين المهلّب وابن معمر!

هيثم الكسواني - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

**أشرنا في المقال السابق إلى أن المهلّب كان من القادة الذين تبنّوا سياسة النّفَس الطويل** في حربِه مع الخوارج الأزارقة، فلم يكن يسعى إلى نصر سريع أو معركة خاطفة، كما أنه كان يتمتع بِبُعد النظر وحسن التخطيط؛ كما تجلّى ذلك في الشروط التي وضعها أمام أهل البصرة لتولّي هذه المهمة، والتي تضمن لجيوش المسلمين الاستمرار في مهمّتها وحسن الأداء.

**وإذا كانت أول جولةٍ بين قائد الجيش المسلم** المهلّب بن أبي صفرة والأزارقة الخوارج قد انتهت لصالح المهلّب؛ إلّا أنه سرعان ما تعرض إلى ضربة موجعة؛ بقيام الأزارقة باغتيال شقيقه وأحد مساعديه: المعارك بن أبي صفرة، وصلْبِه[١].

**لكنّ قائدًا خبيرًا مثل المهلّب** يعلم أنّ مهمّته ليست سهلة، وأنّ طريقه ليست مفروشة بالورود! لذا «أرسل ابنه المغيرة إلى نهر تيري[٢]؛ حيث دفن عمّه، وسكَّن روْع الناس هناك»[٣].

**ويلتقي الطرفان مجدّدًا على أرض الأحواز**، في أحد أيام سنة (٦٥هـ)، في مكان يُقال له: «سولاف»، فيقتتلان قتالًا شديدًا، وكانت تلك أوّل معركة كبيرة بين الطرفين[٤]، وفيها حَمَل الخوارجُ على جيش المهلّب حملة شديدة، وكان النصرُ حليفَهم، وفرّ معظم أفراد جيش المسلمين، ولم يثبت سوى المهلّب وابنه المغيرة، في جماعة قليلة من الجند.

**قد خلّد الخوارج انتصارهم يوم سولاف**؛ فقال قائلهم:

وكائن تركنا يوم سولاف منهم
أسارى وقتلى في الجحيم مصيرُها[٥]

**ولا يحتاج بيت الشعر هذا إلى كثيرِ عناء لإدراك حجم «التكفير» الموجود لدى الخوارج تجاه المسلمين**، ولِنقارنه بموقف رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عندما قاتل الخوارج؛ بعد أن استحلّوا دماء المسلمين، وخرجوا على جماعتهم، وعندما سُئل عنهم نفى عنهم الشرك والنفاق، وقال: «قومٌ بغوا علينا»!

**وبالعودة إلى المهلّب**؛ فإنه سرعان ما استجمع قواه، وقام بتجميع جنوده، والتقى مع الخوارج من جديد على أرض الأحواز في «سِلّى وسِلّبْرى»، يقول الحموي: «والوقعة التي كانت بها كانت من أشدّ وقعة بين الخوارج والمهلّب»[٦].

**فإلى أرض المعركة أقبل الخوارج في عدّة وعتاد هائلين**، بسبب ما غنموه من الأراضي التي سيطروا عليها واحتلّوها، يقول

---

(١) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٩٧).
(٢) نهر يقع إلى الشرق من نهر دجلة، ويمرّ بأراضي الأحواز؛ المحتلة حاليًّا من إيران.
(٣) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٤٣).
(٤) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٣٨).
(٥) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٩٨).
(٦) ياقوت الحموي، «معجم البلدان» (٣/ ٢٣٢).

ابن كثير: «فسارَ إليهم المهلّب -وكان شجاعًا بطلًا صنديدًا-، فلـمّا التقى هو والخوارج أقبلوا إليه يزفون في عدّة لم يُرَ مثلها من الدروع والـزرود والخيـول والـسلاح؛ وذلـك أن لهـم مـدة يـأكلون تلـك النواحي، وقد صار لهم تحمّل عظيم مع شجاعة لا تُدانى، وإقدام لا يُسامى، وقوة لا تُبارى، وسبقٍ إلى حومة الوغى لا يُجارى!»[1].

**ولعلّ ما تمتع به الخوارج -على مرّ العصور-** من البأس والإقدام والشدة في القتال كان سببًا لفتنة الكثير من المسلمين؛ الذين ظنّوا أن تلك الشجاعة والقوة دليل على الحقّ وصواب المنهج!!

**وعلى الرغم من أن جيش المهلّب امتاز -أيضًا- بكثرة عدد أفراده؛** حيث بلغ قرابة ثلاثين ألفًا[2]؛ إلّا أن الهزيمة كانت من نصيبه في بادئ الأمر، فقد حمَل الخوارج على جيش المهلّب -كما فعلوا يوم سولاف-، «فانهزم أصحاب المهلب، لا يلْوي والدٌ على ولد، ولا يلتفت أحد إلى أحد، ووصل إلى البصرة فُلّاهم»[3].

**ومع وصول فلول الجيش المسلم إلى البصرة** -ومعهم أنباء الهزيمة، ومُلاحقتهم من قبل الخوارج- اضطربت أحوال الناس هناك، وهرب أكثر أهلِها، بل ووصلهم نعي المهلب[4] بعد أن أشاع الخوارج أنه قُتل؛ لإضعاف معنويات جنده، حتى خشي أهل البصرة مِن أن تُسبى نساؤهم[5].

**وإزاء ما حلّ بجيشه وفرار جنده** وقف المهلّب بمكان مرتفع، وجعل ينادي: «إليّ عباد الله!»؛ فاجتمع إليه من جيشه ثلاثة آلاف، فقام فيهم خطيبًا، وذكّرهم بالصبر والثبات، وعدم الالتفات إلى المنهزمين والفارّين من جيشه.

(١) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧١٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ياقوت الحموي، «معجم البلدان» (٣/ ٢٣٢).

(٥) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٩٩).

**وخلال حديثه إلى جنده** شعَر المهلّب أن تلك اللحظة هي المناسبة للهجوم على الخوارج، فجزء منهم توجّه نحو البصرة لملاحقة الفارّين من جند المهلّب، والآخرون آمنون مستريحون في معسكرهم بعد انتصارهم في بداية المعركة لا يظنون أن يَغير عليهم المهلب وجنوده، وهنا سنحت للمهلّب فكرة غريبة، وهي: محاربة الخوارج بالحجارة![6]، معلّلًا ذلك بأنها: «تنفر الخيل، وتصرف وجوهها، وتحير الرجالة[7] وتعقرهم»[8].

**ولذلك قال لجنوده:** «عزمتُ على كلّ رجلٍ منكم إلّا أخذ عشرة أحجار معه، ثم امشوا بنا إلى عسكرهم، فإنهم الآن آمنون، وقد خرجت خيولُهم في طلب إخوانكم، فوالله! إني لأرجو أن لا ترجع إليهم خيلهم حتى تستبيحوا عسكرهم، وتقتلوا أميرهم. ففعل الناس ذلك»[9].

**كان لكلمات المهلّب وحجارته أثر بالغ في تلك المعركة،** فالحجارة «جعلت تصرع الراجل، وتردّ الفارس»[10]، حتى أنشد الخوارج متعجّبين مذعورين:

أتانا بأحجارٍ ليقتلنا بها ... وهل تُقتل الأقران ويحك بالحجر[11]

**هذه المعركة «سِلّى وسِلّبْرى»، والتي حدثت في شوال من سنة (٦٦هـ)** كان من نتائجها إلحاق الهزيمة بالخوارج الأزارقة، وقتلِ عدد كبير منهم، يُقدر بسبعة آلاف، وقتلِ قائدهم عبيد الله بن الماحوز، وغَنِم المهلّب معسكرهم، وحاز من أموالهم شيئًا كثيرًا، ولم يفُت المهلّب أن يضع جنودًا بينه وبين الخوارج

(٦) المصدر السابق، وابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧١٧).

(٧) جمع راجل، أي: الماشي على رجليه، خلاف الفارس.

(٨) البلاذري، «أنساب الأشراف» (٧/ ١٦٢)، نسخة إلكترونية.

(٩) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧١٧).

(١٠) البلاذري، «أنساب الأشراف» (٧/ ١٦٠)، نسخة إلكترونية.

(١١) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٩٩).

الذين خرجوا يتعقبون جنده المنهزمين إلى البصرة، فأخذ جنودُه يختطفونهم ويقتلونهم، ومَن بقي مِن الخوارج فرّ إلى بلاد فارس، إلى كرمان وأصبهان[1].

**أمّا المهلّب؛ فبقي مكانه بالأهواز حتى قدِم مصعب بن الزبير إلى البصرة،** مطلع سنة (٦٧هـ)، واليًا عليها وعلى الكوفة مِن قِبل أخيه خليفة المسلمين آنذاك عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

**اتخّذ مصعب قرارًا باستدعاء المهلّب؛** ليشترك معه في محاربة المختار الثقفي -الذي فشا أمره وسيطر على الحُكم في الكوفة-، وعيّن ابنَه المغيرة بن المهلّب مكانَه، وكلّفه بمقاتلة الأزارقة، وكتب له في ذلك يقول: «إنك إلا تكن كأبيك، فإنك -بحمد الله- كافٍ لِما وليّت، وعليك بالجد في أمرك والحذر لعدوك!»[2].

**وبعد تمكّن مصعب من هزيمة المختار وقتله سنة (٦٧هـ)** ولّى المهلّبَ الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية[3]، وقيل في تفسير ذلك: إنّ مصعب بن الزبير كان يريد أن يجعل من المهلّب حاجزًا بينه وبين عبد الملك بن مروان[4]؛ الزعيم الأموي المتمركز بالشام آنذاك، والمتربص بابن الزبير، والطامح لاستعادة مُلك بني أميّة، وخليفة المسلمين فيما بعد.

**ووجد الأزارقة -بعد رجوع المهلّب إلى البصرة-** أن الفرصة صارت سانحة لتكثيف نشاطهم؛ خصوصًا أن ابنه المغيرة لم يقم بهجومات ضدّهم، لاقتصار مهمّته -على ما يبدو- على حماية البصرة من خطرهم[5].

(١) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ» (٤/ ١٩٩)، ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص ١٧١٧).

(٢) البلاذري، «أنساب الأشراف» (٧/ ١٦٤)، نسخة إلكترونية.

(٣) د. علي محمد الصلابي، «الدولة الأموية» (١/ ٦٢٩).

(٤) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٤٤-١٤٥).

(٥) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٤٠).

**وسرعان ما عزل مصعب المغيرةَ بن المهلّب،** وولّى مكانَه عمر بن عبيد الله بن معمر واليًا على بلاد فارس، وكلّفه بمقاتلة الأزارقة؛ حيث كانت مهمة الوالي الجديد: إخراج الأزارقة من فارس؛ كما أخرجهم المهلب من الأهواز[6].

**وقد تمكّن الوالي الجديد -في مناسبات عديدة- من تحقيق ذلك؛** فقد قاتلَهم وقهرهم وكسرهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة[7]، لكن في كل مرّة كان الخوارج ينسحبون ثم يعودون من جديد؛ بعد أن يقوّوا أنفسهم[8].

**وعلى الرغم ممّا بذله ابن معمر من جهد، وما أبداه من كفاءة في قتال الأزارقة؛** إلّا أنه لم يتمكّن من إلحاق الهزيمة الماحقة بهم، ويبدو أن ذلك عائد إلى الخلاف الذي كان بينه وبين أفراد جيشه، بسبب انتماء كثير منهم إلى الأزد -قبيلة المهلّب-، وتثاقلهم من القتال تحت إمرة غيره أو غير إمرة ابنه المغيرة.

**وقد تحدّث ابن معمر عن ذلك صراحة في حديثه إلى جنوده:** «إنّكم لو ناصحتموني مناصحتكم للمهلّب لرجوتُ أن أنفي هذا العدوّ، ولكنّكم تقولون: قرشي حجازي، بعيد الدّار خيرُه لغيرنا، فتُقاتلون معي تعذيرًا»[9].

**وبسبب ذلك ظلّ ابن معمر عاجزًا عن كسر الأزارقة؛** حيث تمكّنوا في إحدى المرّات من قطع بلاد فارس للتوجّه نحو البصرة، فلما سمع مصعب بذلك لام ابنَ معمّر «بتركه هؤلاء يجتازون ببلاده إلى البصرة»[10]، وخرج إليهم مصعب بنفسه،

(٦) المصدر السابق.

(٧) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧٣٦).

(٨) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٤٠).

(٩) المصدر السابق (ص١٤١).

(١٠) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧٣٧).

وتبعهم ابن معمّر، فشعر الأزارقة أنهم أصبحوا بين فكّي كماشة؛ فعدلوا إلى المدائن، وهناك «جعلوا يَقتلون النساء والولدان، ويبقرون بطون الحبالى، ويفعلون أفعالًا لم يفعلها غيرهم!»[1].

**ولم تكن المدائن المدينة الوحيدة التي ارتكب فيها الخوارج المذابح؛** ففي كلّ مكان كانوا يهربون إليه ينشرون فيه الخراب والقتل، ثم اتجهوا نحو الكوفة، فخرج إليهم أهلُها، فعدلوا إلى أصبهان -في بلاد فارس-، وحاصروها، وواليها آنذاك عتّاب ابن ورقاء التميمي.

**ووجد الناس مشقّة كبيرة من حصار الخوارج،** وعندما أحسّ عتّاب أن الحصار سيؤدي إلى هلاكه وهلاك من معه قرّر الخروج لمقاتلة الأزارقة؛ فقاتلهم، وتمكّن من إلحاق الهزيمة بهم، وقتل زعيمهم الزبير بن الماحوز[2]؛ الذي اختاروه قائدًا لهم بعد مقتل زعيمهم السابق عبيد الله بن الماحوز.

**اختار الأزارقة بعد الزبير قائدًا جديدًا لهم هو:** قطري بن الفجاءة، وفي المقابل استدعى مصعب بن الزبير المهلّبَ من الموصل وولّاه قتال الأزارقة من جديد، لأنّ «أحدا لم يستطع أن يقوم مقام المهلّب في مقاومة الخوارج»[3].

## المراجع:


١ - ابن كثير، «البداية والنهاية»، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

٢ - البلاذري، «أنساب الأشراف»، نسخة إلكترونية.

٣ - ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، دار صادر ودار بيروت، بيروت، (١٣٨٥هـ-١٩٦٥م).

٤ - ياقوت الحموي، «معجم البلدان»، دار صادر، بيروت، (١٩٩٣م).

٥ - د. علي محمد الصلابي، «الدولة الأموية»، دار المعرفة، الطبعة الثانية، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

٦ - د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي»، دار الطليعة، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٧ - د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج: نشأتها وتطورها»، دار الطليعة، (٢٠٠٧م).


---

(١) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٧٣٧).

(٢) المصدر السابق، ود. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص١٤٣).

(٣) د. علي محمد الصلابي، «الدولة الأموية» (١/ ٦٢٩).

## لماذا يحارِبون «صحيح البخاري»؟ (٤):
## فرية احتواء «صحيح البخاري» على إسرائيليات

فادي قراقرة - كاتب فلسطيني

خاص بـ «الراصد».

**يستحسن قبل الخوض في شبهة وجود الإسرائيليات في «صحيح البخاري»** التنبه والتيقظ لمدى مبالغة وتضخيم أعداء السنة في عرض إشكالياتهم، وعدم اعتمادهم منهجية علمية محايدة؛ إذ هم يعمدون إلى تضخيم المصطلحات والمبالغة في الشك والافتراضات البعيدة، واعتماد الاحتمال الضعيف والشاذ في الاستدلال! **وهذه هي القاعدة الغالبة المضطردة في أحكامهم على السنة عمومًا.**

**نعم، هذا الملمح الأساسيّ في مناهج المعادين للسنة؛** الذي يعد قاسمًا مشتركًا بينهم جميعًا!

**إنهم يمضون مع شكوكهم إلى أبعد مدى،** ويطرحون افتراضات لا رصيد لها من الواقع التاريخيّ، بل إنهم ينفون العديد من الروايات الصحيحة لأسباب واهية، بينما نجدهم يتشبّثون -في المقابل- بكل ما هو ضعيف وشاذ!

**وقضيتنا هنا** مثال على خلل منهجهم العلمي وقلة أمانتهم.

### ◘ البداية:

**دأب المستشرقون على بثّ شبهاتهم في الموضوعات الحساسة من الإسلام،** فهم يحاولون جهد إمكانهم ردها إلى أصل نصراني، وطائفة المستشرقين من اليهود كذلك؛ وخاصة بعد تأسيس (إسرائيل)، وتحكّم الصهيونية في غالبيتهم، يجهدون أنفسهم بردّ كل ما هو إسلامي وعربي لأصل يهودي، وكلتا الطائفتين في هذا الباب تبع لسلطان العواطف والأهواء[1].

**ومن هذا مارس جموع المستشرقين بثّ سمومهم،** ومعظمهم خريجو كليات اللاهوت، والحقيقة أنهم تبع لجذورهم التي تعود إلى هوجو ايولوجيوس القرطبي (ت: ٨٥٩م)، وكذلك بطرس ألفا روس (ت: ٨٦٩م)[2]، اللذين كانا على رأس من تبنى هذه الأفكار الشيطانية القائلة بأن محمدًا ﷺ أسس دينه من نواة مسيحية ويهودية.

**وبقيت هذه الشبهة تتنقل بين كتابات النصارى** إلى حدود القرن السادس عشر الميلادي، ثم اختفت لتعود بعد حين إلى واجهة الشبهات على الإسلام على يد المستشرق (اليهودي) جولد تسيهر؛ الذي ادّعى أن دعوة النبي ﷺ ما هي إلا مزيج من معارف يهودية ونصرانية (إسرائيليات)، حتى قال متحدثًا عن نبينا ﷺ: «..كما صار رهبان المسيحيين وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه، وقد كانوا من قبل أساتذة له»[3].

**ومثله المستشرق فيليب حتّي؛** الذي رأى أن الإسلام تأثر بالتشريعات اليهودية والنصرانية على حد سواء، حيث نسج «في ترتيب صلاة الجمعة على منوال اليهود في عباداتهم بالكنيس، وتأثر من بعد بطقوس صلاة الأحد التي يمارسها النصارى في البِيَع»[4].

---

(١) «مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ﷺ، عرض ونقد في ضوء العقيدة الإسلامية»، د. رياض العمري، (١/ ٥٣٢).

(٢) المصدر السابق، (١/ ٥٤٦).

(٣) «العقيدة والشريعة في الإسلام»، جولد تسيهر، (ص٢٠).

(٤) «مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ﷺ» (١/ ٥٣٤).

**وكذلك المستشرق الألماني رودي باريت** في كتابه «محمد والقرآن»[1].

**وتابعهم أذنابهم من الحداثيين والعلمانيين والرافضة، وغيرهم من العرب؛** ممن تنكبوا على أقل أحوالهِم أصولهُم وأحوالهُم، جريًا وراء سراب الشهرة، أو مال منقوع بالحرام، «فهي القراءة الاستشراقية التي تتخذ امتداداتها إلى الأساتذة العرب»[2]؛ كما يحلو للحداثي محمد عابد الجابري أن يسميها.

**وكان على رأس الطريق الثاني من العرب الذي تبنوا أطروحات المستشرقين مع بقائهم على أصل الإسلام:** أحمد أمين[3]، ومحمد عابد الجابري[4]، وأبو رية؛ الذي قال: «لا يعجب القارئ من أن يدخل في الإسلام مسيحيات بعد أن دخل فيه إسرائيليات، فإنه قد شيب بأشياء من كل دين ومن كل نحلة، ولكن المجال لا يتسع لبيان كل ما دخل عليه من الملل الأخرى»[5]، **وغيرهم ممن انخدعوا بهذه النظرة اليهودية للإسلام.**

**ثم تلقف الشبهة طبقة ثانية من العرب، ومن المنتسبين للإسلام؛** من أبناء جلدتنا، ممن يتكلّمون بغير ألسنتنا، ويهدفون إلى ضرب السنة عامة و«صحيح البخاري» خاصة، ولكن بصياغة مختلفة، أصلها من عند ذلك اليهودي (جولد تسيهر)، حيث استسلموا لشبهته لضعفٍ في صياغة آرائهم، ولعدم التخصص الحديثي؛ فضلًا عن الشرعي عامة، فعاثوا في دين الله فسادًا؛ فضلًا عن خبث ما انطوت عليه نفوسهم الذي أظهرته فلتات ألسنة كثير منهم!

**ومن هؤلاء:** صالح أبو بكر؛ الذي دوّن كتابه «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية، وتطهير البخاري منها»، ومحمد حمزة في كتابه «الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث»[6]، وجمال البنا[7]، وغيرهم الكثير من المحسوبين على جهات مشبوهة!

**ومن هؤلاء -أيضًا-:** مستشار الحكومة النمساوية المدعو عدنان إبراهيم؛ الذي قال: «سآتيكم بأحاديث في البخاري ومسلم وعن عودة عيسى وعن الدجال وغير الدجال، وأريكم أصولها من اليهود والنصارى؛ كلها عقائد يهودية نصرانية أُدخلت الإسلام، وهي عكس روح القران تمامًا»[8]، وتمامًا يصدق عليه المثل القائل: «اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس»، ويكأن ريح اليهودي النمساوي جولدتسيهر قد أصابته في عقله؛ فأصبح يهذي! وهو ممّن يعمل على تهوين شأن الخلاف بين الأديان حتى الخلاف الحاصل في الأصول والثوابت، فما باله هنا خرج عن ثوبه؟! إن دلّ هذا فإنما يدل على مدى الاضطراب الذي وقع فيه!

**◘ جوابًا على الشبهة:**

**الحق أن شبهة اشتمال «صحيح البخاري» على إسرائيليات شبهة لا طعم لها ولا رائحة،** وهي دعوى عريضة لا حظ لها من الحق في شيء؛ إذ أنها صادرة عن أحكام مسبقة دون استناد إلى أدلّة ظاهرة حقيقية.

**ولأن الطاعن في السنة يعلم يقينًا أنه لا يستطيع إثبات حجّته على منوال علمي، ولأنه يعلم يقينًا أن العقلاء لن يتقبلوا كلامه؛** فقد حاول عبثًا اللعب بمصطلح (الإسرائيليات) تعريفًا وتطبيقًا، ومن ثمّ نسج عليه شبهته التي أرادها، وحقيقة

(١) المصدر السابق.
(٢) «نحن والتراث»، محمد عابد الجابري، (ص١٤).
(٣) «فجر الإسلام»، أحمد أمين، (ص٢٥٥).
(٤) «نحن والتراث»، محمد عابد الجابري، (ص٨٠-٨١).
(٥) «أضواء على السنة المحمدية»، محمود أبو رية، (ص١٨١).

(٦) (ص٢٣٢).
(٧) في مقال له في صحيفة «المصري اليوم»، بتاريخ (١٥/٨/٢٠٠٧)، بعنوان: (إسرائيليات في البخاري).
(٨)بعنوان: (إسرائيليات أصبحت جزءًا من ديننا).
https://www.youtube.com/watch?v=vQOzkEA١ivE

مصطلح وحقيقة (الإسرائيليات) -الموافقة للشريعة- من الناحية التطبيقية: أنها تلك الروايات المنقولة عن أهل الكتاب مما يتعلق بهم؛ سواءً التي نقلها من أسلم من أهل الكتاب؛ كالتابعي كعب الأحبار، أو وهب بن منبه، أو غيرهما؛ فضلًا عمّا نقله بعض الصحابة من مرويّاتهم فيما لا يخالف ديننا[1].

**ويظهر - مما سبق ذكره- أن هذه الأخبار إنما هي:** أقوال أصحابها، وليست من كلام النبي ﷺ، ولا مما ذكره القرآن في كلامه، إلا إن أجرينا قاعدة جولد تسيهر؛ فاعتبرنا أن كلام النبي ﷺ مستقى من الإسرائيليات؛ فهذا شأن آخر!

**هذه المشكلة أوقعتهم في (حيص بيص)!** مما اضطرهم لنصرة باطلهم بمحاولة العبث بالمصطلح وتضخيمه ليتوافق مع الطرح الغربي بشكل عام، فهي حرب مصطلحات، وذلك بتطويع المفاهيم الشرعية لمعطيات الثقافة الغربية الغالبة، عبر ضخ المفاهيم الغربية في المصطلحات الشرعية، وظهرت آثار هذه الحرب في تطبيقات المصطلح، دون التعرض كثيرًا لتعريفه؛ إذ أنهم لو تعرضوا لتعريف الإسرائيليات لكانت حجتهم مفضوحة أكثر.

**وعمدة شبهتهم هو:** ذكر المتشابهات بين نصوص الأحاديث النبوية وبين ما هو موجود عند اليهود والنصارى، ومحاولة جر هذه المتشابهات لجعلها من قبيل الإسرائيليات، وبالتالي إثبات وجود الإسرائيليات في السنة، وهكذا يكونون قد أدخلوا فيه ما ليس منه، كل هذا ليثبتوا قاعدتهم التي بنوها على قناعات مسبقة!

**والحق أن المشابهة الحاصلة في ذكر بعض القصص والوقائع وأخبار الأمم قبل أمة النبي ﷺ** ليست من قبيل النقل من الإسرائيليات، لأسباب عديدة منها:

**أولًا:** أن التشابه الحاصل بين بعض النصوص النبوية التي وردت على لسان نبينا محمد عليه ﷺ، وبين بعض نصوص أهل الكتاب كانت من قبيل اتحاد المصدر الأول -وإن كان التحريف واقعًا في كتب أهل الكتاب- وأصول المعلومات، والمقصود باتحاد المصدر هو: أن أصلها واحد من عند الله؛ إلا أن عجلة التحريف لم تسلم منها أديان أهل الكتاب.

**ومن جانب آخر؛** فإن مسألة التشابه بين الإسلام ودين أهل الكتاب من اليهود والنصارى غير مدفوعة عقلًا ولا شرعًا، بل هي ضرورة ثابتة لزومًا، ولها أمثلتها في القرآن والسنة، فليست أمرًا بحاجة إلى إعادة اكتشاف، فمثلها لم يكن غائبًا قط؛ فضلًا عن أن يكون اكتشافًا صاعقًا؛ كما يحلو للبعض أن يعبر عنه![2] فإن التحريف الذي أصاب الكتب السماوية السابقة، والضياع الذي حل بها لم يغير كل كلمة وحرف في هذه الكتب.

**نعم، وقع في هذه الكتب الخرافات؛ فضلًا عن الشرك بالله،** لكن بقيت موضوعاتها الرئيسة موجودة، ومما يعين على إدراك هذا المعنى أن الله قد أرشد إليه في كتابه؛ حيث قال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[الأعراف:١٥٧]، فلو لم يكن في هذه الكتب حقٌ لَما أخبر بوجود علامات النبي الأمي في التوراة والإنجيل، وهذا دليل ظاهر على اشتمال بعض أخبار أهل الكتاب على الحق؛ وإن وقع فيها التحريف.

**والأدلة القرآنية في هذا الباب كثيرة جدًّا، منها -أيضًا-:** قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ﴾[الأنعام: ٢٠]، فلو أن كتبهم لم تشتمل على حق لما أخبر الله بمعرفتهم النبي ﷺ كمعرفتهم أبناءهم.

**وعلى ما سبق؛** فلا غرابة أن يكون في الحديث النبوي ما يُحدث بمعناه أهل الكتاب أو موجودًا في كتبهم[3].

---

(١) «دعوى وجود الإسرائيليات في الصحيحين»، د. علي بن صالح مصطفى.

(٢) انظر: تعبير محمد أركون لها في كتابه «القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني» (ص٩٥).

(٣) «ملتقى أعلام الإسلام، الإمام البخاري نموذجًا»، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، (٢/ ٣٠١).

**ثانيًا:** يلزم هؤلاء الطاعنين في السنة عمومًا -بزعم اشتمالها على إسرائيليات لوجود التشابه!- أن يطعنوا بالقرآن، فالمؤدى واحد، وذلك: أن الله أخبرنا في كتابه عن قصص الأمم البائدة أو قصص الأنبياء ما نجد مثله في التوراة والإنجيل؛ كقصة آدم في نزوله من الجنة؛ مع اختلاف في بعض التفاصيل، لكن المشابهة واضحة وظاهرة، وكالتشابه الحاصل في بدء الخلق، فضلًا عن هلاك الأمم السالفة، ويوم القيامة، وغيرها من الأخبار التي أصولها صحيحة.

**فهل سيجرؤ أولئك على الطعن في القرآن؟!**

**ثالثًا:** لو افترضنا -جدلًا- احتواء «صحيح البخاري» إسرائيليات لَما كان في هذا مطعن في «صحيح البخاري»، لأن الإسرائيليات المعمول بها والمحتج فيها عند العلماء تنقسم إلى قسمين:

**الأول:** ما وافقت فيه الشريعة، فهذا ظاهر جدًّا؛ لما سبق من بيان وجه اتحاد نقل الخبر.

**الثاني:** ما لم تخالف فيه الشريعة، وجاء فيها الخبر عن الصادق المصدوق ﷺ؛ حيث قال: **«حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»**[1].

**وعلى هذا؛ فكونها أخبارًا كقصص أو ما سواه مما ليس له أثرٌ على الأحكام الشرعية بتاتًا؛ فإنها مقبولة، ولا تتعارض مع الشريعة**، مثلًا: كتسمية ابني آدم بـ (قابيل وهابيل)، إلى غير ذلك من الأخبار التي ذكرها جمعٌ ممن يؤمن قولهم على دين الله، من الصحابة والتابعين؛ فضلًا عمّن سواهم.

**ومما يحسن ذكره فيما يتعلق بموضوع الإسرائيليات:**

أن القول بتكذيب الأخبار المسماة: (بالإسرائيليات) مطلقًا لا يتفق مع مضمون التاريخ البشري بشكل عام؛ لِما فيه من أخبار الأمم السابقة التي كانت قبل الإسلام؛ فضلًا عن أخبار أهل الكتاب مما يخص أمورهم وأحوالهم، وأحوال الأنبياء المبعوثين فيهم قبل ظهور دعوة النبي ﷺ.

◘ **وخلاصة ما سبق:**

**أنه لا يوجد في «صحيح البخاري» إسرائيليات، وأن الزعم بوجودها مجرد خرافة!** يستهلكونها للطعن في قدسية حديث النبي ﷺ.

**وإن الطعن في «صحيح البخاري»** بحجة احتوائه على إسرائيليات يلزم منه الطعن في القرآن.

**وأن الطعن في «صحيح البخاري»** ما هو إلا نابتة مارسها بعض مشعوذي الألفاظ من المستشرقين ومَن سايرهم؛ ممن يضخمون المصطلحات ويعوّمونها؛ ليؤدوا خدمة جليلة لأعداء الإسلام من الطعن في مصادر الشريعة الإسلامية.

## خرافة المظلومة الشيعية في العراق: ٢- حكم الملك فيصل الأول

عبد العزيز بن صالح المحمود- باحث عراقي

خاص بـ «الراصد».

**فنّدنا في الحلقة السابقة خرافة (المظلومية المزعومة لشيعة العراق في العهد العثماني)، وفي هذه الحلقة نفند خرافة (المظلومية في عهد الملك فيصل الأول)**؛ الذي جاء بعد الحكم العثماني واحتلال الإنكليز للعراق.

◄ **الشيعة والاحتلال البريطاني:**

**في أواخر الحكم العثماني واحتلال الإنجليز للعراق** طالبت مجموعة من الضباط العرب السنة في الجيش العثماني بحكم عربي للعراق، وشكلوا من أجل ذلك جمعيات منها: «جمعية العهد» سنة (١٩١٣م)، كما برزت تحركات عشائرية شيعية عراقية تؤيد تنصيب ملك عربي هاشمي على العراق، فتم الاتصال بأحد أبناء الشريف حسين (شريف مكة) لتنصيبه ملكًا للعراق.

(١) «صحيح البخاري»، حديث رقم (٣٤٦١)، (٤/ ١٧٠).

**لم يكن الاحتلال البريطاني راضيًا بذلك**؛ لأنه يريد أن يحكم العراق بشكل مباشر، لكن الضغوط الشعبية العراقية اضطره لعمل استفتاء للشعب العراقي خلاصته: هل تؤيد قيام حكم ملكي عربي مستقل؟ وأظهرت النتائج اضطرابًا واضحًا عند العراقيين! لكن الذي يهمنا وله صلة بموضوعنا هو: موقف الشيعة من هذا الاستفتاء.

**يزعم العديد من الكتاب الشيعة أنهم كانوا مؤيدين لحكم أحد أبناء الشريف حسين للعراق، وهذا غير صحيح**؛ فالشيعة انقسموا بشكل واضح حيال هذه القضية لموقفين:

**الأول**: موقف المرجع الشيعي كاظم اليزدي بعد التشاور مع بريطانيا الرافضة لقيام حكم عربي بالعراق؛ إذْ أيّد اليزدي استمرار بريطانيا بحكم العراق، كما وقّع سادن الروضة العلوية في النجف هادي الرفيعي مع (٢١) شخصية من وجهاء مدينة النجف مطالبين باستمرار حكم بريطانيا للعراق، وكان شرطهم على البريطانيين: منحهم حرية ممارسة الطقوس الدينية، وحفظ مكانة المجتهدين.

**وأيّد ذلك مجموعة من المراجع الشيعة، منهم**: محمد مهدي الكشميري، وهاشم الهندي النجفي، ومحمود الهندي النجفي، وجعفر بحر العلوم -وهو إيراني-، ومن المراجع العربية: حسن بن صاحب الجواهري، وعلي بن محمد كاشف الغطاء.

**وجميع هؤلاء أيّدوا بقاء حكم الإنكليز، ورفضوا قيام حكم ملكي عربي!**

**ووقّع (٤٠) من وجهاء الشيعة من بغداد والكاظمية** على عريضة تؤيد بقاء الحكم البريطاني، ونصّوا على أن يكون برسي كوكس حاكمًا للعراق، كما حصل تأييد من قبل بعض وجهاء الشيعة في مدينتي سامراء وكربلاء.

**القسم الثاني**: أيّد جماعة العهد -وهم ضباط سنة- بقيام حكم عربي من أبناء الشريف حسين، وبعض المجتهدين الشيعة، ومنهم: شيخ الشريعة الأصفهاني، وعبد الكريم الجزائري، وجواد بن صاحب الجواهري، ومهدي كاشف الغطاء، وميرزا محمد تقي الشيرازي، ومحمد رضا الشبيبي، ووقعت وثيقة من (٤٥) شخصية مرموقة سنية وشيعية تدعم هذا الرأي.

**لكن لنا هنا ملاحظة مهمة، وهي**: أنه برغم اتفاق السنة والشيعة على قيام حكم عربي إلا أن طبيعة هذا الحكم كان محل اختلاف؛ فأبناء الشريف والسُنّة وعدد قليل من الزعامات الشيعية كانوا يريدون حكمًا عربيًّا حقيقيًّا للعراق، بينما غالبية قيادات الشيعة كانت ترغب بحكم ملكي شكلي دستوري، عبر مبادئ دستورية منسوخة حرفيًّا من الثورة الدستورية في إيران، مما يمكّن مراجع الشيعة من حكم العراق في الحقيقة، وهذا ما نادى به محمد تقي الشيرازي عَلنًا!!

**وحاول هذا القسم من الشيعة فرض رؤيته**؛ عبر تنفيذ ثورة لطرد الإنكليز من العراق ليصفو الجو للمجتهدين لحكم العراق تحت حكم شكلي من أحد أبناء الشريف، فكانت ثورة العشرين (١٩٢٠م)[1]، لكن الخطة فشلت بفشل الثورة، وبذلك ظهرت حقيقة نوايا الشيعة بحكم العراق من خلال مرجعيات طائفية إيرانية.

**وبهذا ينكشف أن الشيعة كان لهم دور واضح في تأسيس الدولة العراقية الحديثة**، ولم يُقصهم أحد خلال تلك الفترة التأسيسية للعراق، ولكنهم تأرجحوا بين بقاء حكم الإنكليز بالعراق من جهة، وبين قيام حكم تكون السيطرة فيه بيد المراجع الشيعية الدينية الإيرانية، فهل هؤلاء مظلومون، أم ظالمون؟!

### ◄ الشيعة ومقدمات تأسيس الدولة العراقية (١٩٢١):

**أرسل قادة العراق -سنة وشيعة- إلى الشريف حسين** -وهو في الحجاز- لتشجيعه على استلام عرش العراق من قبل

(١) وقد فصَّلت القول في حقيقة هذه الثورة وأهدافها في مقالاتي المنشورة في مجلة «الراصد»، تحت عنوان: (جهود علماء العراق في الرد على الشيعة)؛ والتي ستنشر في كتاب مستقل -بإذن الله-.

أحد أولاده، فكتبوا له:

«نرجو إرسال نجلكم الملك فيصل إلى العراق ليكون ملكًا دستوريًّا، منتظرين تشريفه».

التوقيع: محمد الصدر (شيعي)، نوري السعيد، حمدي الباججي، محيي الدين السهروردي، بهجت زينل.

**وكذلك طالب قادة ثورة العشرين** -الذين هربوا إلى الحجاز- بالملك فيصل ملكًا على العراق، ومن هؤلاء: جعفر أبو التمن، ونور الياسري، وعلوان الياسري، ورابح العطية، وشعلان الظاهر، ومحسن أبو طبيخ (وكلهم شيعة)، ثم أعقبهم علي البزركان، ومحمود رامز، وإسماعيل كله[1]، كما راسله الشخصية الشيعية المشهورة محمد رضا الشبيبي[2].

**وبرغم ذلك؛ فإنّ علماء الشيعة ومراجعهم اعتبروا أنّ فيصل الأول تابع للإنكليز**، وأنه سيقف ضد مصالحهم كرجال دين، لأن فيصلًا كان ينوي تأسيس دولة عراقية حديثة، بعيدة عن وصاية المراجع الشيعية، وعن الانقسامات القبلية والعشائرية، فعندما وصل فيصل للعراق ومرّ بمنطقة الجنوب ووسط العراق استقبل استقبالًا سَيئًا من قبل المراجع الشيعة، وبه نوع من الاحتقار! رغم حرص فيصل على عشائر الجنوب العربية.

**وسبب ذلك أنّ** «علماء الشيعة كانوا يفكرون ألا يكون الحكم في بغداد، فقد كان رجال الدين الشيعة يتطلعون إلى إقامة حكم ديني يكون على رأسه نائب الإمام المجتهد الأكبر؛ لذا فإنهم يعارضون بكل ما أوتوا من قوة أي حكومة قوية تكون في بغداد، قد يتغاضون عن حكومة ضعيفة لا حول لها ولا تحول دون تحقيق طموحهم وأمانيهم، ولكنهم -وفي كل تأكيد- يسعون دومًا لإثارة المصاعب وإقامة العقبات في وجه حكومة مركزية قوية.

**وبعد أن تشكّلت حكومة فيصل**، أخذ علماء الشيعة وشيوخ قبائل (الجنوب) ينصرفون عنها تدريجيًّا، مظهرين لها العداء؛ لأنّ أحدًا من هاتين الفئتين ما كان يرى الأهداف التي كانت الحكومة تأمل أن تحققها.

**وقد أدرك الوطنيون هذا الأمر**؛ فدأبوا على تحطيم قوة العلماء وسلطة شيوخ القبائل»[3].

**ويعترف أحد الكتاب الشيعة أن ثمة انقسامًا كبيرًا حدث بين الشيعة تجاه الملك فيصل**؛ فكبار المراجع رفضوا ترشيحه، والأقل شأنًا منهم رشحوه[4].

**لذلك أقول**: إن علماء الشيعة -وهم القيادة الحقيقية للجمهور الشيعي في جميع الأزمنة- هم من أشاع خرافة هذه المظلومية ورسّخها لدى الجمهور الشيعي؛ لأن المراجع لم يحصلوا على ما كانوا يخططون له، وهو الهيمنة التامة؛ ولذلك وضعوا العقبات أمام حكومة الملك فيصل طيلة مدة حكمه؛ التي استمرت (١٢) عامًا.

### ◄ الشيعة وتأسيس الحكومة العراقية:

**بعد قبول بريطانيا تنصيب الملك فيصل ملكًا على العراق وتأسيس حكومة عراقية**، بدأ المندوب السامي برسي كوكس بالبحث عن رئيس وزراء للعراق، فجلس أولًا مع علماء الشيعة ومراجعهم، فقد زار المرجع الشيعي الأعلى كاظم اليزدي، قبل أن يزور عبد الرحمن النقيب (سني)، وعرض عليهما رئاسة الوزراء؛ إلا أن كاظم اليزدي رفض الفكرة[5]، فتمَّ تنصيب النقيب رئيسًا للوزراء.

**ولكن الشيعة يروّجون خرافة أنه جرى اتفاق بين المندوب البريطاني كوكس وعبد الرحمن النقيب**، مقتضاه:

---

(١) بحث: (الخلاف بين الملك فيصل الأول والإنكليز حول السياسة في العراق)، للدكتورة علياء محمد حسين الزبيديّ، المنشور في مجلة «كلية الآداب»، بغداد، العدد (٩٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) هذا كلام الدكتور عبد الله النفيسي في دراسته للدكتوراة من جامعة بريطانية (دور الشيعة في تطور العراق الحديث) (ص٢٥٥).

(٤) «شيعة الوطن وبناء العراق»، محمد جواد مالك، (ص٦٠٢).

(٥) «لمحات اجتماعية»، علي الوردي (٦/ ٢٢-٢٣).

أنّ تسليم حكم العراق للسنة مشروط بإبعاد الشيعة وحرمانهم من حقوقهم في المشاركة بالحكم بما يتناسب مع حجمهم السكاني، انتقامًا من دورهم الفعال في ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني، ومساهمتهم قبل ذلك في حركة الجهاد التي واجهت القوات البريطانية في البصرة عام (١٩١٤)!

**وهذه المظلومية المخترعة ليس لها أصل أو إشارة في أي مرجع علمي أو وثائق سياسية**، وإنما بنيت على فرضية طرحها عالم الاجتماع العراقي الشيعي الدكتور علي الوردي، ليفسر فيها كيف ولماذا وافق عبد الرحمن النقيب على قبول تولي رئاسة الوزارة مع إنه معروف بالزهد، وسبق له أن رفض الفكرة.

**فطرح الوردي فرضية تقول**: ربما أن كوكس حاول أن يلعب على أوتار الطائفية، وتخويف عبد الرحمن النقيب من أن يسلّم الحكم للضباط الشريفيين أو للشيعة فوافق، والنقيب معروف عنه نزعته البرجوازية والطائفية -على حد تعبير الوردي[1]-.

**وقد ردّ على الوردي مفكر شيعي منصف وهو**: الدكتور موسى الحسيني، وهكذا يتبين أن هذه فرضية وتحليل انطباعي وليست معلومات حقيقة!

**ومما يفند خرافة وجود اتفاق على إقصاء الشيعة عن الحكم**: أن الملك فيصل لما أراد أن يُشكل حكومته -بعد انتهاء حكومة النقيب- دعا الشيعة للمشاركة في الحكومة، فأرسل أحد الشيعة الوطنيين وهو: عبد الواحد سكر (من قادة ثورة العشرين) إلى النجف لمكانته عند المرجعية الشيعية؛ ليقنعهم بضرورة المشاركة بالحكومة الجديدة؛ فرفض المراجع ذلك، وخجل هو حتى بإرجاع الخبر إلى الملك فيصل![2]

**وهذا يؤكد أن رفض رئاسة الوزراء ورفض المشاركة في الحكومة** هو رأي تبنّاه مراجع الشيعة، وليس إقصاءً واتفاقًا مع بريطانيا، وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين لشيعتهم!

**لقد وقف مراجع الشيعة ضد تكوين الدولة العراقية**؛ وقد اعترف العديد من الشيعة الطائفيين بذلك، يقول د.عبد الخالق حسين: «وبعد أن اضطر الإنكليز تأسيس الدولة العراقية الحديثة بسبب ثورة العشرين التي قامت بها عشائر الفرات الأوسط، وبدفع من رجال الدين الشيعة أنفسهم، وقفت القيادات الدينية الشيعية ضد أغلب الإجراءات الضرورية لبناء الركائز الأساسية للدولة الوليدة الفتية، وذلك باتخاذهم مواقف متشنجة ومتشددة ضد السلطة، وإصرارهم على شروط تعجيزية غير قابلة للتحقيق في تلك الفترة!

**فوقفوا -مثلًا- ضد المعاهدة البريطانية-العراقية** التي ما كان بالإمكان الاستغناء عنها في تلك الظروف القاهرة؛ وإلا لقامت تركيا بإعادة احتلال العراق، أو على الأقل إلحاق الموصل بها.

**كما وأصدروا الفتاوى** ضد الانتخابات لتشكيل المجلس التأسيسي، وضد إقرار الدستور، وضد قانون التجنيد الإجباري، وضد التعيين في الوظائف الحكومية، وحتى ضد إدخال أبناء وبنات الشيعة في المدارس الحكومية!

**وفي كل هذه المناسبات كانوا يصدرون الفتاوى**، يدعون الناس فيها إلى مقاطعة أوامر وتعليمات السلطة؛ وإلا فهم كفار، وتحرم عليهم زوجاتهم!!

**وحتى دعوة رجال الدين الشيعة لأتباعهم إلى مقاطعة الانتخابات** التي كانت الوسيلة الممكن اتخاذها للتخلص من الطائفية، فراحوا يصدرون الفتاوى في هذا الخصوص، وعلى سبيل المثال لا الحصر: في نوفمبر (١٩٢٢) نشر المجتهدون الشيعة الكبار فتوى عن الانتخابات، ورد فيها: «صدر منا تحريم الانتخاب في الوقت الحاضر؛ لما هو غير خفي على كل باد وحاضر، فمن دخل فيه، أو ساعد عليه؛ فهو كمن حارب الله ورسوله، وأولياءه

---

(١) «الشيعة والحكم في الدولة العراقية الحديثة»، الدكتور موسى الحسيني.

(٢) ذكره د. موسى الموسوي في «الطائفية في الوطن العربي»، نقلًا عن «لمحات اجتماعية»، لعلي الوردي.

-صلوات الله عليهم أجمعين-».

**وإمعانًا في فتوى التحريم، صدرت فتوى أخرى** تحرّم على من ينتخب زوجته وزيارته، ولا يجوز رد السلام عليه، ولا يدخل حمام المسلمين![1].

**وبمرور الزمن بدأ مراجع الشيعة يغيرون رأيهم ويفتون بالدخول في الدولة؛** لذلك اجتمع جمع من المراجع الشيعة -وخاصة العرب- مع المجتهد الشيعي محمد حسين كاشف الغطاء، وطلبوا أن يلغوا فتواهم بعدم المشاركة التي أفتى بها المجتهدون الإيرانيون، وذلك سنة (١٩٣٥م) -وسنتكلم عنها في الحلقة القادمة-.

**هذه هي الحقيقة التي فرّ منها حسن علوي** في كتابه «الشيعة والدولة القومية»، ولم يناقشها كما ناقشها علي الوردي في كتابه «لمحات اجتماعية»، وحسين الشامي في كتابه «المرجعية الشيعية من الذات إلى المؤسسة»؛ الذي يفتخر بالمقاطعة ويعتبرها علامة وعي وإدراك لعلماء الشيعة، وكذلك عبد الرحيم الرهيمي في كتابه «تاريخ الحركة الإسلامية في العراق».

**لذا كانت هناك مجموعة وطنية من مثقفي الشيعة** من الذين لم يستجيبوا لتحريض المراجع، وانخرطوا في الأحزاب الوطنية، منهم: محمد رضا الشبيبي، والشاعر مهدي البصير، وجعفر أبو التمن -في الحزب الوطني-، وعبد الرزاق الأزري، وعبد الرسول كبة، ومحمد حسن كبة -في حزب النهضة العراقية- وجعفر الشبيبي، وإسماعيل الصفار -في حزب الأمة-، ومن الشخصيات التي خاضت السياسة: عبد الرزاق الحسني، ومحمد الصدر، وصالح جبر، والأخيران وصلا إلى منصب رئاسة وزراء العراق في العهد الملكي.

**لقد كان بإمكان الشيعة أن يكون وضعهم أفضل** خلال هذه الفترة لولا سلوك وسياسة المراجع المعادية للملك فيصل الأول، والوقوف بوجه حقوق المكون الشيعي بحرمانه من العمل السياسي وتحريم المشاركة بالانتخابات.

**وليس ذلك فحسب،** بل حرَم المراجع المواطنين الشيعة من الوظيفة، ومن تلقّي المساعدة المالية من الحكومة العراقية؛ لأنهم يعتبرونه مالًا حرامًا! ولأن الحكومة غير شرعية في نظرهم، وأن الحكومة الشرعية الوحيدة هي: الحكومة التي تستند إلى أهل البيت، وهذه لن تظهر إلا بظهور المهدي![2].

**ومع ذلك؛ حرص الملك فيصل -برغم رفض الشيعة-** على أن تضم حكومته وزيرين من الشيعة، أحدهما: كان وزير المعارف (التربية)!

**إذًا؛ فالشيعة لم يُقصوا أبدًا من الحكم،** بل إن الذين تعاملوا منهم مع الحكومة وطنيًّا كان لهم وجود فاعل وتأثير مستمر، ونالوا منصب رئاسة الوزراء.

### ◄ مطالبة الشيعة بتأسيس جيش عشائري من الجنوب:

**بعد تأسيس الحكومة العراقية** حان وقت تكوين جيش وطني للدولة، يدافع عن العراق عامة، لكن مراجع الشيعة كانوا يفكرون بشكل مختلف؛ فهم يريدون جيشًا من عشائرهم ليحركوه ضد فيصل كيفما ومتى شاؤوا لتحقيق مآربهم! فالفوضى لعبتهم؛ كما تفعل إيران ومراجعها اليوم؛ تثير الفوضى وتكثّر الميلشيات؛ حتى تستطيع الهيمنة على العراق وسوريا واليمن، فالتاريخ يعيد نفسه، وهؤلاء من أولئك؛ قوى عسكرية تحت هيمنة مراجعهم الطائفيين.

**وفعلًا دعا مجموعة من كبار علماء الشيعة الإيرانيين** لعقد مؤتمر في كربلاء، بقيادة أبي الحسن الأصفهاني، وحسين النائيني، ومهدي الخالصي (عراقي عربي متجنس إيراني)؛ لتأسيس جيش

---

(١) مقال: (دور الفقهاء الشيعة في العزل الطائفي)، عبد الخالق حسين، موقع «عبد الخالق حسين».

(٢) «دور الشيعة في تطور العراق الحديث»، عبد الله النفيسي، (ص٨٧)، «شيعة العراق»، إسحاق النقاش (ص٢٠٧).

عشائري، ودعوا الملك فيصل وبعض علماء السنة، لكن كشفت الخطة ولم يحضر الملك وعلماء السنة، ونجح الملك فيصل في تأسيس جيش عراقي، وكان أول فوج عسكري باسم: (موسى الكاظم)، وهكذا ينكشف جانب آخر من خرافة المظلومية!

◄ **الشيعة وعرقلة تأسيس الدولة العراقية:**

**خلق الفوضى ليس حكرًا على المراجع الشيعية بل سلوك جميع التوجهات الشيعية،** وهم يعترفون بهذا، فبرغم من أنه لم يكن يتوفر لديهم كوادر متعلمة يمكنها المشاركة في شؤون الحكم، بسبب تحريم مراجعهم دخول أبنائهم في المدارس العثمانية؛ إلا أنهم يصرّون على حصة في الحكم يقوم بها جهلة منهم! ولما رفض طلبهم فضّلوا حكم البريطانيين على حكم سني! وكتب ذلك مهدي الخالصي في وصيته أنه يفضل السيطرة البريطانية المباشرة على الحكومة العراقية[1].

**وكانوا يجتمعون بالبريطانيين طالبين تغيير الحكومة،** كما طلبوا تشكيل حكومة شيعية في المناطق الشيعية، أو تقسيم العراق!

**لذلك كان الشيعة يعارضون أي مشروع يُطرح من قبل الحكومة،** للإثبات للبريطانيين أن الشيعة قوة تستطيع تعطيل الدولة[2]، وقد ظهر ذلك واضحًا في مشروع التجنيد الإلزامي؛ حيث رفض الفكرة الانجليز؛ ليبقى العراق ضعيفًا، وشاركهم مراجع الشيعة؛ لتبقى الدولة ضعيفة، يمكن الانقلاب عليها -كما هو الواقع اليوم في العراق؛ من خلال تمكين المليشيات الشيعية على حساب الجيش!-، وفي افتعالهم مصادمات مع الشرطة العراقية في مواسم عاشوراء؛ كما جرى سنة (١٩٢٧)، ثم كانوا يقدمون شكواهم دائمًا للمندوب السامي البريطاني!

**نعم؛ فشلت كل هذه المحاولات،** لكنها عطلت كثيرًا مسار الدولة، ويعترف أحد الكتاب وهو: الدكتور فرهاد إبراهيم بذلك؛ بقوله: «منذ إنشاء دولة العراق لم يكن للشيعة العراقيين هدف سوى: حكم العراق، وإضعاف قوة الأقلية السنيّة»[3].

**إن فشل الشيعة في تأسيس حكومة شيعية** هو بسبب عدم وجود قادة سياسيين لديهم، وبسبب عدم وجود حزب، ولما حاول محسن أبو طبيخ أن يؤسس لهم حزبًا شيعيًّا في النجف سنة (١٩٣٢) فشل؛ لعدم وجود متعلمين بينهم! ففشلهم إذا ليس بسبب مظلومية أو إقصاء![4].

**ومن أمثلة خرافة المظلومية:** دعوى الشيعة أن حكومة فيصل الأول أرادت الحد من قوة الشيعة عبر إصدار قانون الجنسية العراقية سنة (١٩٢٤)؛ الذي يخير كل عراقي تجنّس إيرانيًّا أن يختار بين الجنسية العراقية أو الإيرانية، وأن التوظيف سيكون من حق من يحمل الجنسية العراقية فقط؛ حيث أن الوجود الإيراني كان كبيرًا في مناطق العراق، وكانوا يتمتعون بامتيازات كبيرة.

**لكن مراجع الشيعة رفضوا أن يتخلوا عن الجنسية الإيرانية،** وبقوا يطالبون أن يعينوا في وظائف حكومية![5] فيا لها من مظلومية؟!

◄ **صراع المرجعية الشيعية مع الملك فيصل:**

**لم يتوقف علماء الشيعة عن السعي لإسقاط حكومة الملك فيصل الأول،** واعتباره عميلًا للإنكليز لا شرعية له، وأنه يحارب الإسلام، وبدأ المرجع الخالصي بالتحضير للعصيان العام؛ ولم يخفَ ذلك على الملك فيصل؛ فعمل على تقليص نفوذهم،

(١) «شيعة العراق»، إسحاق النقاش، (ص٢١٤).

(٢) مثلما يفعلون اليوم في لبنان، ويشترطون نسبة الثلث المعطل لقيام أي خير للدولة اللبنانية!

(٣) في كتابه «الطائفية والسياسة في العالم العربي، نموذج الشيعة في العراق»، وفرهاد علماني، وكتابه نقّد فيه السنة كثيرًا، وهو يعيش في ألمانيا ويحاضر هناك، ولكنه أدرك هذه الحقيقة.

(٤) «محمد جعفر أبو التمن، دراسة في الزعامة السياسية العراقية»، د. خالد التميمي، (ص ٣١٣-٣١٥، ٣٢٠-٣٢٤).

(٥) «شيعة العراق»، إسحاق النقاش، (ص١٧٩).

وقصقصة أجنحتهم[1].

**ففي عام (١٩٢٣)** قرر الملك ترحيل كل مجتهد إيراني الأصل، ولكنه لم يفعل، ولكن قام المراجع الإيرانيون التسعة بالمغادرة إلى إيران من تلقاء أنفسهم، ونفى الملك المرجع الخالصي إلى عُمان، فالتحق من هناك بإيران.

**وأفتى الخالصي لشيعة العراق** بضرورة دفع الخمس للحكومة الإيرانية؟! ليثبت -وهو العربي الأرومة والأصل- أنه يحنّ على أصل الدين لا أصل العروبة!

**ولكن لقي هؤلاء المراجع العداوة من المراجع الإيرانيين،** فعادوا من تلقاء أنفسهم للعراق سنة (١٩٢٤م)، وخلال غياب هؤلاء المراجع الإيرانيين في إيران قام بعض الشيعة في الجنوب بالتعاون مع الدولة في بناء العراق، وكتبوا عريضة يعلنون أن المجتهدين أخطأوا، ونشب صراع كبير بين المجتهدين الإيرانيين ومَن حلّ محلهم من المراجع العرب؛ الذين لقوا دعمًا من الملك فيصل.

**لم يكن فيصل طائفيًّا أو ظالمًا للشيعة!** فإدارة القصر كانت بيد شخص لبناني شيعي جاء معه وهو: رستم حيدر؛ الذي أصبح فيما بعد وزيرًا للمالية، لكن فيصل كان يريد بناء وطن لجميع أبنائه، وقد أثمرت جهوده الكثير من الخير لأبناء الجنوب الشيعة، فلأول مرة في تاريخ مناطق جنوب العراق العربي تأسست هناك مدارس ومؤسسات تعليمية، بعد أن كانت الأمية والجهل قد ضربت أطنابها.

**وإدخال التعليم المعاصر** أبعد الجنوب الشيعي عن مراجعه، وأخرج نخبة مثقفة تحمل شهادات شتى.

**لقد كان العراق -وبالأخص جنوبه وشماله- تغزوه الأمية** التي تصل نسبتها لـ (٩٠%) من أبنائه، حولها الملك فيصل الأول إلى نسبة (٤٦%) من الشعب يجيد القراءة والكتابة، في طفرة تاريخية خلال (١٠) سنوات من تأسيس الدولة العراقية الحديثة[2].

**وبقيت مشكلة شيوخ العشائر الشيعية في الجنوب،** والذين كان يتحكم فيهم المراجع، وبمجرد ضعف دور المراجع الإيرانيين تحسنت علاقة شيوخ العشائر مع الدولة العراقية، وتطورت مناطق الجنوب التي بقيت أكثر من خمسة قرون منطقة يسودها التخلف والنزاع والقتال، وأدى إلى تعاظم دور العشائر الاقتصادي والسياسي، وأصبح كثير منهم أعضاء في البرلمان العراقي، وانتسب العديد منهم للأحزاب الوطنية، وأصبحت علاقة شيوخ عشائر الجنوبية مع بغداد وطيدة، ولم تعد العشائر تفكر بحمل السلاح ومقاتلة الحكومة العراقية، وجرت عملية توطين كبيرة لكثير من القبائل المترحلة.

**كانت هذه سياسة فيصل الأول الحكيمة ومن معه من الحكومات،** والتي ربطت مصالح العشائر الشيعية بالمركز بغداد سياسيًّا واقتصاديًّا، رغم ما نتج عن ذلك من سلبيات ليس هنا محلها[3].

**إن نشوء الدولة العراقية الحديثة أضعف دور المراجع؛** ولذلك ادّعوا المظلومية! بينما كان من المفترض أن تكون الدولة العراقية محل الشكر والاحترام؛ إذْ نقلت هذه المناطق العشائرية من البداوة والعشائرية والثأر والأمية والتخلف والاقتتال والسرقة والنهب من مناطق يسيطر عليها المؤمن والسيد[4]، إلى مناطق حضارية تخرج أولادها أطباء ومهندسين ومفكرين وعاملين منتجين، ينفعون أنفسهم وأولادهم وبلدهم.

(١) المصدر السابق، (ص١٥٣-١٥٤).

(٢) مقال: (الجهل في العراق في العهد العثماني)، فرهاد محمد أحمد، مدونته الشخصية، (٢٠١٣/٢/٢٦).

(٣) فقد أدى ذلك إلى هجرة من الجنوب إلى بغداد المتميزة اقتصاديًّا، تسببت بتغيير ديمغرافية بغداد، وبداية قوة التشيع في بغداد!

(٤) مصطلح (المؤمن) مصطلح شيعي، وهو: رجل ينشر التشيع، ويغسل موتاهم، ويعلمهم الزيارة، و(السيد) الشيعي هو: من نسبه من آل البيت الحسني والحسيني، ولا عمل له سوى الفخر أنه من أهل البيت ليُعطى الخمس!

**لقد حرص فيصل الأول على ترقية الشيعة** لقلة عدد المثقفين والمتعلمين، ورفع مستواهم العلمي والثقافي؛ كي يشاركوا في بناء العراق ويزجّهم في بناء الدولة؛ ولذلك حث على تخريج أكبر عدد من طلاب الشيعة من المدارس؛ لغرض تعيينهم في مؤسسات الدولة، حتى وإن أفضى ذلك إلى التساهل في تخرجهم.

**لأن فيصل الأول يذكر بوضوح في مذكراته** أن جهل الشيعة والكرد منعهما من المشاركة في بناء الدولة ومؤسساتها.

◄ **الخلاصة:**

**الشيعة أقصوا أنفسهم بأنفسهم، ووقعوا في مأزق**[1]، ومن ثم عادوا يبحثون عن دور، مثلما أن من عقيدتهم أنه (لا حكم ولا جهاد حتى ظهور المهدي)، ثم أخذوا يجتهدون ليخرجوا من هذا المأزق؛ فأخرجوا فكرة (ولاية الفقيه) بديلًا عنها؟! فأي مظلومية مُدعاة هذه؟!

**إن بناء الدول لا يكون بإرضاء لهذه الطائفة أو تلك، أو هذا المذهب أو ذلك، وليس بعدد الوزراء من هذا المذهب أو ذاك، بل بالكفاءة**، فهل لنُرضي الشيعة نترك العراق سنين عديدة يدار من مجموعة غير مؤهلين؛ من أجل إرضاء المذهب؟!

**ثم إن فيصل الأول وحكومته كانوا وطنيين**، ولم يكن حكمه دينيًّا أو مذهبيًّا حتى يقال: طائفية!![2].

**وبهذا تنكشف خرافة المظلومية الشيعية في مرحلة تأسيس العراق بوفاة الملك فيصل سنة (١٩٣٣)**، ليدخل العراق حقبة جديدة.

**وسنكمل في الحلقة القادمة حقيقة (المظلومية الشيعية في العراق الجديد)**؛ ليتبين لنا أن تفاقم الترويج لخرافة المظلومية تم بشكل واسع بعد حرب الخليج (١٩٩١) لأسباب سياسية ضد العراق، وللتمهيد للوضع الحالي، وقد قامت به المؤسسة الصهيونية، والمعارضة الشيعية، والغرب؛ للتمهيد لاحتلال العراق.

(١) مقال: (هل كان الحكم الملكي طائفيًّا)، جعفر المظفر، موقع «الحوار المتمدن»، (١٧/ ١١/ ٢٠١٠).

(٢) «شيعة العراق»، إسحاق النقاش، (ص٢١٥-٢١٧).

---

## مخطط الحشد الشعبي في العراق

صباح العجاج- باحث عراقي

خاص بـ «الراصد».

**انتهت مسرحية داعش في العراق، وأصبح الحشد الشعبي الشيعي محرّر العراق ومنقذه**، وانتهت قعقعة السلاح بتدمير المحافظات السُّنية وتهجير أهلها، وظهور قوة شيعية إيرانية هي: «الحشد الشعبي الشيعي»، وهي القوة القادمة المعدّة عسكريًّا وسياسيًّا لحكم العراق.

**وهو تكرار لمسيرة حزب الله اللبناني**: محاربة إسرائيل (قوى مقاومة)، ومن ثم السيطرة السياسية على لبنان، وهذا ما تريد إيران استنساخه في العراق؛ من خلال الانتخابات العراقية القادمة والمتوقعة في (٥/ ٢٠١٨).

**لكن الساحة العراقية تشهد اليوم صراعًا بين عدّة قوى متفاوتة القوة، هي:**

**الأولى**: قوى مرتبطة بإيران؛ يقودها أربعة أشخاص: نوري المالكي، هادي العامري، أبو مهدي المهندس، قيس العامري، مع أحزابهم السياسية، وجميع هؤلاء يتبعهم الحشد الشعبي الشيعي، وسنفصل الحديث عنهم بعد قليل.

**الثانية**: قوة الضغط الأمريكي؛ الذي يريد الحفاظ على مصالحه التي تباعدت عن مصالح إيران في العراق، ويمثلها: رئيس الوزراء حيدر العبادي، وتتعاضد معه قوى شيعية؛ كالتيار الصدري، ومجموعة من القوى السنية، وبعض الأكراد.

**ومعلوم أن رئيس الوزراء حيدر العبادي** ينتمي لحزب

الدعوة، وحاصل على الجنسية البريطانية، ويطمح لولاية ثانية في الانتخابات القادمة، وهذه الأوصاف مهمة لفهم طريقة تفكيره، فالرجل شيعي ينتمي لحزب الدعوة الذي هو فقط من مثّل الشيعة وحكمها منذ الاحتلال ليومنا هذا، ممثلًا بـ: إبراهيم الجعفري، نوري المالكي، حيدر العبادي.

**وسلوك العبادي متزن في الداخل** بين طائفته وأمريكا وأوربا، والدول العربية، فقد أرضى طائفته بكثير من القرارات، وأرضى إيران؛ خاصة بتسهيل ودعم الحشد الشعبي واعتباره قوة رسمية، وأرضى الأمريكان في العديد من القرارات، وفتح علاقات جيدة مع الدول العربية؛ وخاصة السعودية، كما أنه دعم تحالف القوى الوطنية (السنية)، وحاول أن يوجد صورة مقبولة أكثر عن حزبِه عند الشعب العراقي.

**وغريمه في هذه المرحلة هو نوري المالكي بالدرجة الأولى؛** الذي يحاول أن يسقطه أو يعطل عمله، هذه العداوة أدّت بالعبادي للتحالف بدعم أمريكي مع سليم الجبوري، وعدد من القوى السنية الأخرى؛ فضلًا عن التيار الصدري -العدو الكلاسيكي للمالكي-؛ ليكوّن حكومة قوية بعد الانتخابات القادمة.

**الثالثة:** قوى تميل للدول العربية (السعودية-الأردن-قطر-الإمارات) وتركيا (٤+١) التي شكّلت منذ أشهر «تحالف القوى الوطنية»، وهم خليط من سنّة الحكم، ووجوه جديدة أُدخلت في العملية السياسية.

**وتحالف القوى الوطنية تشكّل بعد عدة اجتماعات،** غايتها: توحيد الصف السني سياسيًّا، وإدخال وجوه جديدة في التمثيل السُّني لتوحيد أو تقريب وجهات النظر بين الفرقاء السنة، وأصبح له مقرات رسمية في بغداد وغيرها، واعترفت به الدولة العراقية ممثلة برئيس الوزراء حيدر العبادي، وشكل قسم منه أحزابًا، وترتبط هذه القوة بالدول العربية وتركيا، وربما دُعمت سياسيًّا من قبل الغرب وأمريكا كمنافس لقوة إيران، صحيح أنه جاء متأخرًا إلا أنه أصبح أكبر تجمع يمثل أهل السنة.

**وبرغم أنه لم يمضِ على تأسيس تحالف القوى سوى (٣) شهور** إلا أنه حقق أشياء جيدة، وظهرت من خلاله كفاءات جيّدة يمكن أن تكون واجهة للسُّنة أفضل من الرموز السابقة.

**لكن مشكلة التحالف** أن بعض الموجودين فيه قد يعملون مع التحالف من جهة، ومع أحزابهم وطموحاتهم من جهة أخرى، فغالب همّهم هو: البقاء في العملية السياسية، فهؤلاء عملهم مزدوج.

**كما أن بعض هؤلاء** قد يتحالف -بتأثير أمريكي- مع العبادي في الانتخابات، ومن هؤلاء: سليم الجبوري وأحزابه الثمانية؛ التي أسسها كبديل عن الحزب الإسلامي، وبقي الحزب الإسلامي مع إياد السامرائي، تحت جناح تحالف القوى الوطنية.

**وموقف تحالف القوى مرتبك في هذه المرحلة تجاه الانتخابات القادمة،** فجمهوره السني لم يرجع إلى منازله من حالة النزوح، وإن عاد فهو مشغول بترتيب أوضاعه، وإيجاد بديل مؤقت لعيشه في مناطق مدمرة، وهناك دعاية رافضة للمشاركة السياسية بسبب الغضب من سلوك السياسيين السنة تجاه النازحين، ومواقفهم السلبية، وحالات السرقة والفساد.

**لذلك؛ فإن شعبية هذا التحالف محدودة،** وقد لا يستطيع خلال فترة (٦) شهور -هي ما تبقى لموعد الانتخابات القادمة- لتحقيق ما يصبو إليه من دعاية وترويج لنفسه؛ لذلك فالتحالف يرغب بتأجيلها ليتسنى له الدعاية خلال هذه الفترة، ويعود أكبر قدر، ويستقر من النازحين السنة.

**ويبقى القول:** إن تحالف القوى هو أحد المعوقات لتحركات الحشد وإيران؛ ولأن التوجهات الجديدة تحمل نفسًا سنيًّا لا بأس به، وعقلية تفاوضية لا بأس بها، وهي قريبة الآن من صانع القرار بالعراق، أي: رئيس الوزراء؛ التي تتجاذبه عدة ضغوطات محلية وإقليمية ودولية، ويطمع العبادي بأن يحصل على دعمه للبقاء أربع سنوات جديدة في رئاسة الحكومة.

**نعود لتفصيل حال القوة الأولى**، وهي بيت القصيد في هذا المقال؛ فهي قوى إيرانية بامتياز، وتمثل السلوك الإيراني الحقيقي، وتبقى براغماتية إيران وعلاقاتها مع حيدر العبادي كتكتيك عابر وليس خيارًا استراتيجيًّا لها.

**فالحشد الشعبي أُسّس وفق الفلسفة الإيرانية**، القاضية بتشكيل قوى خارج سيطرة الدولة، بحجة المقاومة/مكافحة الإرهاب (إسرائيل في لبنان، وداعش في العراق)؛ لتصبح فيما بعد قوى عسكرية وسياسية مشروعة!

**ولتحقيق فوز الحشد في الانتخابات** فالمخطط أن يدخل كقوة سياسية تتبع للمالكي (ائتلاف دولة القانون)، ومعه هادي العامري (منظمة بدر)، ومن جهة أخرى تكوين جبهة تستقطب قوى بديلة تعوّض عن القوى الشيعية المنسحبة من التحالف الشيعي؛ كالتيار الصدري، وربما تيار الحكمة، التابع لعمار الحكيم، كما يتوقع أن يخسر تأييد إبراهيم الجعفري وفالح الفياض، وربما إياد علاوي؛ الذي من المرشح أن ينزل للانتخابات مع مسعود برزاني، وخميس الخنجر، أو مع العبادي.

**والقوى المتوقع كسبها كتعويض عن هؤلاء هي:** قوى سنية قديمة، مثل: مجموعة كركوك/محمد تميم، ورئيس الوقف السني -المتوقع إقالته- عبد اللطيف الهميم، وبعض مجموعات أكراد السليمانية من بقايا الاتحاد الوطني الكردستاني المقرب من إيران.

**ويبقى موقف بعض القوى السنية مثل:** جمال الكربولي وصالح المطلك ومحمود المشهداني متأرجحًا بين قائمة الحشد/المالكي وبين قائمة العبادي.

- **خطة الحشد الانتخابية في المناطق السُّنية:**

**من الثابت أن القوى الشيعية ستتفرق، وستخسر إيران عدة قوى في البرلمان**؛ لذلك سيكون التعويض من المناطق السُّنية، وقد بدأ التخطيط لتعويض ذلك، فالحشد عسكريًّا لا زال متواجدًا في المناطق السنية، وهو يسعى لكسب بعض شباب السنة؛ بإعطائهم مناصب، وأسلحة، وسيارات داخل المحافظات.

**كما يسعى لكسب ولاء أكبر عدد من النواب السنة؛** لعرقلة العمل داخل مجالس المحافظات من جهة، وبرلمانيًّا ضد قرارات حيدر العبادي والتحالف الوطني (السني)، لصالح الحشد، وهم يدرسون اليوم عدد المقاعد التي يخططون لكسبها.

**ولأن الانتخابات ستكون تحت رعاية الحشد الشعبي في المحافظات السنية**، أو تحت رعاية الحكومة التي يسهل على الحشد اختراقها؛ فإن احتمالية تزوير أصوات أهل السنة لصالح الحشد وأتباعه أمر شبه محسوم؛ خاصة أن الحشد يقدم وعودًا للعديد من الفاسدين ورؤوس العشائر بمناصب ومستحقات مالية إذا انتخبوا أتباعه ورجالاته؛ ممّن يضمن ولاءهم له -وما أكثرهم!-.

**في المقابل؛** فإن قوة التحالف الوطني (السني) حديثة التكوين ولا تملك موارد مالية تنافس الحشد.

**وهي تتمنى أن تؤجَّل الانتخابات؛** ليكون لها وقت أكبر لتعرّف الجمهور السني بنفسها، ولا تريد التأجيل من جهة أخرى؛ لأنها ترى أنه يمنح الحشد الوقت الكافي لتفعيل مشروعه في مناطق السنة!

**ومما يخطط له الحشد في حالة فوز قائمته -وهذا مستبعد-:** أن يشكل هو الحكومة، ويضرب بالمعارضة عرض الحائط، وفي حالة خسارته أو قلة عدد نوابه أن يعرقل برلمانيًّا قرارات العبادي، ويصبح هو الثلث المعطل؛ لتكون قرارات العبادي أقرب لإيران منها إلى أمريكا أو الدول العربية.

**إن وجود الحشد بشكله العسكري المكشوف أو المتستر بثياب الجيش** أمر خطير على مستقبل العراق -عسكريًّا وسياسيًّا-؛ فقد أصبح متواجدًا في المناطق السنية، وله أتباع من السنة، وما يفقده قوة عند الشيعة يعوضه من السنة وبعض الكرد والتركمان الشيعة؛ خاصة في منطقة طوز خرماتو في محافظة صلاح الدين، وتلعفر في محافظة نينوى.

- **الحشد وخدمة المصالح الإيرانية:**

**معلوم أن الحشد يضمّ العديد من القيادات الإيرانية من الحرس الثوري؛** الذين يتسترون بلباس القوات الحكومية ليمارسوا دورًا تخريبيًّا في المناطق السنية، منها: استمرارية مخطط التهجير في ديالى، بحجة تصفية المناطق السنية من بقايا داعش، والسيطرة على مناطق السُّنة بشكل محكم؛ لإجهاض أي قوى مناهضة للوجود الإيراني، وهو ما يمارس في مناطق الجنوب ضد البؤر الشيعة التي بدأت تتململ من سلوكيات إيران القبيحة.

**كما يخطط الحشد إلى أن يهيمن على كركوك ونفطها؛** لمنع الأكراد من أي توجه للانفصال، ولتشكيل موطئ قدم قديم جديد لإيران، ويتوقع أن يدعم الحشد وإيران العرب السنة في كركوك ضد سلوكيات الأكراد العنصرية؛ لكون ذلك يخدم مصلحة إيران، وليس لأنهم أصحاب حق!

**ويحرص الحشد على تواجده في محافظتي: نينوى، والأنبار** للسيطرة على الحدود مع سوريا، والتحرك بِحُرِّيّة بين العراق وسوريا كمحور إيراني واحد، ومنع ظهور أي قوى تعارض وجوده، أو تتحرك ضده.

**لذلك؛ ليس مستبعدًا** أن يُدّعى وجود قوة لداعش أو ظهور قوى إرهابية جديدة، وأنها تحارب ضدها!

- **التحديات التي يواجهها الحشد الشعبي:**

**من أبرز التحديات التي يواجهها الحشد:** أن تصدر قرارات ضده في العراق نتيجة الضغوط، فمثلًا لمنع قوة الحشد التي أفسدت في كركوك تدخل الأمريكان، وأنزلوا قوة عسكرية كبيرة، وتزايد عدد القوات الأمريكية في العراق ليصل إلى (٩٠٠٠) جندي، وهذا يقلق الحشد الشعبي.

**كما أن بعض القيادات الأربعة** قد لا يكون له وجود في العراق، وهو: أبو مهدي المهندس؛ لأنه سيكون مطلوبًا من قبل عدة دول خليجية وأمريكا.

**ومن الممكن أن يتعرض الحشد الشعبي العراقي داخل سوريا لضربات،** أو قد تزج به إيران في صراعاتها، ومنها: الحرب المحتملة بين حزب الله وإسرائيل.

- **خلاصة الكلام:**

**يشكل الحشد النسخة العراقية لحزب الله في لبنان والحوثيين في اليمن،** فإيران تريد قوة عسكرية تهيمن تمامًا على العراق، فهي لم تعد تكتفي بالقوة السياسية، كما أن الجمهور الشيعي العراقي بدأ يتذمّر ويتفلّت من التدخل والهيمنة الإيرانية؛ **لذا تحاول إيران بواسطة الحشد الشعبي الشيعي أن تهيمن على العراق.**

---

## الإرهاب..
## أداة المشروع السياسي الشيعي الإيراني[1]

أسامة شحادة - كاتب وباحث أردني

---

### تمهيد

**منذ بداية هيمنة الخميني على حكم إيران** صدع العلماء بالتحذير من خطر عدوان هذا النظام على جيرانه! لأنهم عارفون بعقيدة الخميني وفكره ومعتقد الشيعة الإثنى عشرية؛ الذي يتبناه الخميني ويدعو له، والذي يقوم على تكفير أهل السنة واستباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم[2].

**ولكن هذه الصرخات والتحذيرات** لم تجد عقلًا حاضرًا ولا أذنًا صاغية! ومع اشتعال حرب الخليج الأولى (١٩٨٠-١٩٨٨م) اصطفّ الغالبية من التيار الإسلامي مع ملالي طهران تحت راية

(١) قدم هذا البحث في مؤتمر «خير أمة» في ماليزيا بتاريخ (٢٦/١١/٢٠١٧)، باختصار يسير.

(٢) انظر تفاصيل ذلك في: كتاب «التكفير عند الإمامية الإثني عشرية»، د. صفية بنت سليمان الراجحي.

(الوحـدة الإسـلامية، ومحاربـة الإمبرياليـة ورأس الـشر ورأس الشيطان أمريكا وإسرائيل)!

**واليوم وبعد مرور ما يقرب من (٤) عقود على نظام الملالي** صُدم كثير من العلماء والدعاة والساسة والإعلاميين والمثقفين والعامة بوحشية المشروع الطائفي الشيعي الذي يتبناه الولي الفقيه الإيراني؛ حيث سالت الدماء أنهارًا في العراق وسوريا، جهارًا نهارًا، على يد مرتزقة المليشيات الشيعية الطائفية الإرهابية؛ التي جُلبت من أقطار الأرض المختلفة لتنفذ أمر المرشد الإيراني بحرق الثوار على أرضٍ عربيةٍ مسلمةٍ.

**إن ما جرى ولا يزال يجري في العراق وسوريا ولبنان واليمن** قد جرى مثله من قبل مرارًا، لكنه كان يفتقد للتوثيق والإعلام المباشر، وهو الذي حدث هذه المرة، وبرغم ذلك فإن الأخطبوط الإعلامي الشيعي والإيراني قد تمكن للأسف من تعمية الحقيقة عن ملايين «مملينة» في هذا العالم!

**لقد كان أركان نظام الملالي في غاية الوقاحة في تصريحاتهم؛** التي لم تخفِ حقيقة مشروعهم السياسي العدواني والتوسعي، فهذا علي يونسي -مستشار الرئيس الإيراني حسن روحاني- يعلن أن: «إيران أصبحت إمبراطورية كما كانت عبر التاريخ، وعاصمتها بغداد حاليًّا، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما في الماضي»! وصرح حيدر مصلحي -وزير الاستخبارات الإيراني السابق في حكومة أحمدي نجاد- بأن: «إيران تسيطر فعلًا على أربع عواصم عربية؛ كما قال رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو»، وإن «الثورة الإيرانية لا تعرف الحدود، وهي لكل الشيعة»، مؤكدًا أن «جماعة الحوثيين في اليمن هي إحدى نتاجات الثورة الإيرانية».

**أما الخلاصة لهذه الأطماع الطائفية والإرهابية؛** فكانت على لسان الجنرال رحيم صفوي -المستشار العسكري لمرشد الجمهورية الإيرانية علي خامنئي-؛ الذي ادّعى أن: «القرن الحالي سيشهد تشكل حكومة إسلامية عالمية، ستكون إيران مركزًا لها».

**من أجل فهم خلفيات هذا المشروع الشيعي الإيراني العدواني والتوسعي والإرهابي،** جاءت هذه الورقة لتبيّن تجذّر رؤية العدوان والتوسع والإرهاب في الفكر والمشروع السياسي لنظام ملالي طهران من اللحظة الأولى لهم، وبيان اعتمادهم المطلق على آلية الإرهاب في تنفيذ مشروعهم السياسي العدواني الإرهابي التوسعي.

## ■ المشروع السياسي العدواني والإرهابي لملالي طهران:

**منذ تشكل دولة الخميني في طهران عقب الإطاحة بالشاه في عام (١٩٧٩م)** بدأ النهج الطائفي للخميني يظهر للعيان في قراراته وسياساته وهيكلة الدولة والمجتمع، بعد أن كانت مبثوثة في كتبه ومحاضراته[(١)].

**ومع إعلان الدستور الإيراني الجديد** ظهرت الأطماع الطائفية للخميني، ونواياه العدوانية والإرهابية تجاه الآخرين في إيران من خصومه السياسيين أو العرقيات والقوميات والمذاهب الأخرى، أو تجاه دول الجوار المسلمة.

**ففي دستور الخميني** تقرر اعتماد (التشيع) كمذهب وحيد للدولة، في مخالفةٍ لدساتير كل الدول الإسلامية التي لم تَذكر مع دين الدولة الإسلام أي مذهب! وذلك رغمًا عن اعتراضات شركاء وفرقاء الوطن في لجنة إعداد الدستور على هذا التوجه، مما يكشف عن ترسخ الطائفية في هذا النظام، وكيف أن هذه الطائفية سوف تنعكس على مبادئه وسياساته واستراتيجياته؟!

**وتضمنت ديباجة الدستور** التصريح بأن مجال عمل الجيش العقائدي لإيران هو العالم كله، فقالت الديباجة: «ولا تلتزم هذه

(١) يَعتقد الخميني أن التحاكُم إلى قُضاة المسلمين السُّنَّة وحكَّامهم يُعدّ تحاكمًا إلى الطاغوت، كما في كتابه «الحكومة الإسلامية» (ص٧٤)، والذي ألَّفه في العراق قبل الثورة بسنين، حيث يورد رواية -مكذوبة- عن الإمام جعفر أنه كان ينهى عن الرجوع إلى السلاطين وقضاتهم، ويَعتبر الرجوع إليهم رجوعًا إلى الطاغوت.

القوات المسلحة بمسؤولية الحماية والحراسة للحدود فحسب، بل تحمل أعباء رسالتها الإلهية، وهي: الجهاد في سبيل الله، والنضال من أجل نشر أحكام الشريعة الإلهية في العالم»!!

**ومن ثم تم التنصيص في الدستور على:** أن مسؤولية الدولة الإيرانية الشيعية هي: نصرة المستضعفين في كل العالم[1]، مما كشف عن مطامعها في التوسع والهيمنة والاختراق لدول الجوار وغيرها بهذه الشعارات البراقة، والتي رأى العالم حقيقة نصرة المستضعفين في العراق وسوريا واليمن!! من خلال تأييد الطغاة والفاسدين ضد الشعوب المستضعفة والمظلومة!

### ■ محاولات إيران السياسية لتحقيق الأحلام الطائفية التوسعية العدوانية:

**سعى نظام ملالي طهران لتحقيق حلمهم** بالهيمنة والنفوذ على المنطقة المجاورة لهم خصوصًا، والعالم الإسلامي عمومًا، من خلال ثلاثة مشاريع سياسية، هي:

**١ - تصدير الثورة:**

**والتي نادى بها الخميني من بداية تسلّمه الحكم؛** حيث قال في خطاب له بتاريخ (١١/٢/١٩٨٠): «سنصدّر ثورتنا إلى كل دول العالم».

**يقول الدكتور وليد عبد الناصر:** «وقد جسّد الحزب الجمهوري الإسلامي -الذي سيطر على الحكم في إيران منذ إقصاء الدكتور أبو الحسن بني صدر عن رئاسة الجمهورية في (يونيو ١٩٨١) حتى حل الحزب عقب نهاية الحرب مع العراق- نظرية تصدير الثورة.

**بل إن البعض اعتبر الخلاف** بين الحزب وبين الدكتور أبو الحسن بني صدر -أول رئيس لجمهورية إيران- هو في أحد أبعاده خلاف بين المفهوم الوطني للإسلام وحركة الإسلام العالمية.

**فاعتبر الحزب نفسه -في برنامجه الأساسي-** حزب المسلمين في كافة أنحاء العالم، وليس في إيران وحدها، وذكر برنامجه: أن عالمية الثورة الإسلامية ومبدأ تصدير الثورة وجهان لعملة واحدة، وبالتالي حدد مهمة إيران الثورة في إنقاذ المسلمين والبشرية بأجمعها.

**وقد برر الدكتور حسن آيات** -أحد منظري الحزب- تدخل الثورة الإيرانية في شئون الدول الإسلامية الأخرى بأن على إيران نصرة المستضعفين في كل مكان؛ حتى يتم ضمان استمرارية الثورة واتساع دائرة إشعاعها»[2].

**ولذلك تم الإشادة والدعم لعدد من التمردات الشيعية في المنطقة، مثل:** تمرد شيعة المنطقة الشرقية بالسعودية سنة (١٩٧٩م)[3]، ومحاولة شيعة البحرين الانقلاب سنة (١٩٨١م)، وتفجيرات الكويت ثم محاولة اغتيال أميرها جابر الأحمد سنة (١٩٨٥م)، والاعتداء على الحجاج في مكة عدة مرات في سنوات (١٩٨٦و١٩٨٧ و١٩٨٩).

**وتمشيًّا مع سياسة تصدير الثورة** تم الإشادة بخالد الإسلامبولي -قاتل السادات-، واستقبال قادة الجماعة الإسلامية المصرية الفارين من مصر، ودعم بعض المجموعات في سيناء، كما تم دعم الجماعات المسلحة الجزائرية بالتدريب والمال والسلاح، وبعد فشل مشروع تصدير الثورة بخسارتهم في الحرب مع العراق ظهر مشروع جديد.

**٢ - نظرية أم القرى:**

**والتي سعت لجعل مدينة قُم الشيعية عاصمة مقدسة للعالم الإسلامي بدلًا من مكة،** بحجة قيام الحكم الإسلامي، يقول محمد جواد لاريجاني -صاحب النظرية-: «اليوم، وبينما

---

(١) المادة (٣) من الدستور، نقطة (١٦).

(٢) كتابه «إيران دراسة عن الثورة والدولة»، دار الشروق، ص

(٣) «تمرد شيعة القطيف عام ١٤٠٠»، توبي كريغ جونر، ترجمة حمد العيسى، مدارك، (ص٣١).

الثورة الإسلامية أسقطت حكومة الجور والفساد في إيران، وحلّت محلها الحكومة الإسلامية.

**وطبقًا لرؤية سماحة الإمام الخميني** - قدس سره الشريف - فإن الواجب الرئيسي لكل فرد مسلم في الدرجة الأولى هو: المحافظة على إيران الإسلامية، إيران التي هي دون أدنى شك أم القرى في العالم الإسلامي»[1].

**ومن هذه العاصمة المقدسة** تتشكل حكومة إسلامية عالمية بقيادة الولي الفقيه! وقد فشلت هذه النظرية تمامًا كسابقتها!

**٣- الجيوبوليتيك الشيعي:**

**وهو: الهيمنة والنفوذ وراء الحدود الإيرانية** بما يحقق مصالح إيران، وفقًا لمجالها الحيوي للسيطرة على الأرض والمساحة التي تليق بإيران، اعتمادًا على مبدأ الحدود الشفافة التي تتحدد بناء على مصالح إيران![2]

- **وهذا المشروع يعتمد على أدوات التمدد الشيعي:**

• **التشيع الناعم**؛ المعتمِد على الأدوات الإعلامية والثقافية والخيرية.

• **تسييس التشيع**؛ من خلال الحصول على غطاء سياسي للجيوب الشيعية والمتشيعة في الدول الأخرى، ومن ثم تحويل ولائهم لملالي طهران.

• **التشيع الخشن**؛ ويقصد به: عسكرة الجيوب الشيعية والمتشيعة.

• **إدماج التشيع في النظم الحاكمة**؛ لإضفاء طابع قانوني ورسمي على تحركاتها لتنفيذ أجندة الولي الفقيه الإيراني[3].

**هذه هي غايات المشروع الإيراني الطائفي، وهذه هي مشاريعه السياسية وآلياته لتنفيذها.**

**ويمكن وبوضوح أن نتبين أن قوة إيران الحقيقية هي في (وجود إرادة سياسية لتنفيذ أهدافها الإستراتيجية، وتسخير القدرات الاقتصادية والجيوبولوتيكية لذلك)**، وأكبر أداة لذلك هي: صناعة الحلفاء خلف خطوط العدو، واللعب على التناقضات عند خصومها للوصول لأغراضها، حيث أن إيران لا تتميز بقوة زائدة عن الدول العربية، بل قد تكون دول الخليج أكثر تسليحًا عددًا ونوعيةً!!

- **«الإرهاب» إستراتيجية معتمدة في كل المشاريع السياسية الطائفية العدوانية لإيران:**

**تعتمد سياسة ملالي طهران طيلة تاريخها على العنف والقتل والإكراه للوصول إلى غاياتها وأهدافها، وذلك عبر:**

**أولًا: إنشاء مؤسسات لهذه الغاية**، وعلى رأسها: الحرس الثوري الذي يضم «الباسيج وفيلق القدس»[4].

**عقب تشكل حكم الخميني تم تأسيس الحرس الثوري كبديل عن جيش الشاه**؛ ليكون ملتزمًا بولاية الفقيه والدفاع عنها ونشرها في العالم، ولذلك تضخّم دور الحرس الثوري؛ فأصبحت ميزانيته تفوق ميزانية الجيش بأضعاف! إضافة إلى سيطرة الحرس الثوري على كثير من اقتصاد إيران عبر شركاته التجارية، ومن ثم أصبح دور الحرس الثوري السياسي كبيرًا، مما سبّب صدامات علنية (آخرها صراع روحاني مع الحرس الثوري قبيل حفل تنصيبه في ٨/ ٢٠١٧).

**وأصبح من مهام الحرس الثوري:** دعم حركات التحرر، ونصرة الشعوب المستضعفة في العالم، وتولي عملية الاستخبارات في الدول المعادية، وإنشاء خلايا نائمة في أنحاء العالم، ومساعدة

(١) كتابه «مقولات في الإستراتيجية الوطنية» (ص٤٦).

(٢) (الجيوبوليتيك الشيعي الواقع والمستقبل)، د. محمد السلمي ود. عبد الرؤوف الغنيمي، مجلة «الدراسات الإيرانية»، العدد الأول، (ص٣٧).

(٣) المصدر السابق، (ص٥١).

(٤) (مقارنة بين وضع الحرس الثوري والجيش في بنية النظام الإيراني)، مجلة «الدراسات الإيرانية»، العدد الأول، (ص١٣٤).

المنظمات والميليشيات المسلحة في الدول لتنفيذ أجندة إيران، وتنفيذ عمليات إرهابية بحق خصوم نظام الملالي، وإدارة ملفات سياسية خارجية في بعض الدول لترسيخ النفوذ الإيراني؛ كما في لبنان والعراق وسوريا واليمن.

■ **ومن سجل الأعمال الإرهابية للحرس الثوري في دول متعددة ما يلي:**

• **اغتيال قادة المعارضة الإيرانية:**

**ففي العام (١٩٨٩)** اغتيل في فيينا عبد الرحمن قاسملو -زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني-، ومساعده عبد الله آذر.

**وفي باريس عام (١٩٩١)** تم اغتيال شاهبور بختيار -آخر رئيس وزراء في إيران تحت حكم الشاه-.

**وفي برلين عام (١٩٩٢)** اغتالت إيران الأمين العام للحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني صادق شرفكندي، وثلاثة من مساعديه، هم: فتاح عبدلي، وهمايون أردلان، ونوري دهكردي.

• **اغتيال دبلوماسيين سعوديين**[١]:

**ففي عامي (١٩٨٩-١٩٩٠)** تورط النظام الإيراني باغتيال (٤) دبلوماسيين سعوديين في تايلاند، وهم: عبد الله المالكي، وعبد الله البصري، وفهد الباهلي، وأحمد السيف.

**وفي العام (٢٠١١م)** أشارت الاتهامات للحرس الثوري باغتيال الدبلوماسي السعودي حسن القحطاني، في مدينة كراتشي.

• **عمليات تخريب:**

**ففي العام (١٩٩٤م)** أصدرت الخارجية الفنزويلية بيانًا صحافيًّا يفيد بتورط (٤) دبلوماسيين إيرانيين بشكل مباشر بالأحداث الخطرة التي جرت في مطار سيمون بوليفر الدولي بكراكاس، والتي كان هدفها إجبار اللاجئين الإيرانيين على العودة إلى بلادهم.

**وفي العام (٢٠١٢م)** تم الكشف عن مخطط لاغتيال مسؤولين ودبلوماسيين أميركيين في باكو، عاصمة أذربيجان.

**وفي (يناير ٢٠١٦م)** اعترفت إيران رسميًّا على لسان قائد الحرس الثوري الإيراني محمد علي جعفري بوجود (٢٠٠ ألف) مقاتل إيراني خارج بلادهم في (سوريا والعراق وأفغانستان وباكستان واليمن).

**وفي شهادة لماثيو ليفنت** مدير برنامج ستاين لمكافحة الإرهاب والاستخبارات في معهد واشنطن، أمام اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الأوسط ووسط آسيا، التابعة للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي بتاريخ (٢٠١٢/٧/٢٥) قال: «يوظف النظام في طهران -أيضًا- سياسة خارجية عدوانية تعتمد بشكل كبير على نشر أصول سرية في الخارج لجمع المعلومات الاستخباراتية ودعم العمليات الخارجية.

**وكون إيران أنشط دولة راعية للإرهاب في العالم،** وتشجع «حزب الله» -أيضًا- على القيام بذلك، فهي تعتمد على العمليات الإرهابية لدعم مصالح السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية...

**وخلال الأشهر السبعة الماضية** أوضحت سلسلة من المخططات الإرهابية التي استهدفت المصالح الأمريكية نزوع إيران نحو رعاية هجمات في الخارج، وقد تم إحباط البعض منها بما فيها مخططات في تايلاند وبلغاريا وسنغافورة وكينيا وقبرص وأذربيجان، بينما تم تنفيذ البعض الآخر، وشمل ذلك: وقوع تفجيرات في الهند وجورجيا.

**ونُفذت بعض هذه العمليات من قبل عملاء إيرانيين،** بينما قام «حزب الله» -وكيل إيران الرئيسي- في أعمال الإرهاب بتنفيذ البعض الآخر، وكان عددٌ قليلٌ منها عبارة عن عمليات مشتركة نفذها نشطاء «حزب الله» الذين يعملون مع الاستخبارات الإيرانية أو أعضاء في «قوة القدس»، وكان مخطط محاولة اغتيال السفير السعودي في واشنطن في (تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١١) الأكثر

---

(١) انظر بيان الخارجية السعودية عن سجل إيران الإرهابي على الرابط التالي:
http://cutt.us/I٠cSa

جرأة وغرابة من بين هذه العمليات!»[1].

• **عمليات حزب الله الإرهابية في جنوب شرق آسيا[2]:**

**لحزب الله اللبناني سجّل قديم وحافل بالعمليات الإرهابية في المنطقة!** تتنوع بين توريد بعض الأسلحة والمتفجرات لعمليات خارج المنطقة، وبين تنفيذ عمليات هناك ضد دول أخرى؛ كاختطاف الطائرة الكويتية من بانكوك سنة (١٩٨٨)، واعتقال عضو محلي لحزب الله في مطار مانيلا بالفلبين سنة (١٩٩٩) ويقيم بماليزيا كشف عن شبكة إرهابية سريّة لحزب الله في تايلاند، تستخدم جوازات سفر فلبينية مزورة، ومخابئ أسلحة في تايلاند والفلبين؛ والتي يتم شراؤها من أندونيسيا.

**وفي سنة (٢٠١٢)** تم اعتقال عميل لبناني تابع لحزب الله في مطار تايلاند متورط بنقل أسلحة لصالح الحزب.

**وفي مطلع سنة (٢٠١٦)** كشفت صحف فلبينية عن مخطط للحرس الثوري الإيراني باستهداف طائرات ركاب سعودية في منطقة جنوب شرق آسيا[3].

## ثانيًا: عسكرة وتسييس الجيوب الشيعية والمتشيعة خارج إيران وإلحاقها بها:

**منذ بداية تصدير الثورة** التفتت إيران إلى أهمية عسكرة الجيوب الشيعية لتنفيذ مخططاتها الإرهابية والعدوانية، وكانت البداية مع شيعة لبنان والخليج؛ فتمّ صناعة حزب الله اللبناني، وتمويله وتدريبه على يد الحرس الثوري؛ ليصبح ذراع إيران في لبنان وما حولها من بلدان.

**ولذلك يفتخر حسن نصر الله علنًا** بتبعيته للولي الفقيه الإيراني، وأنه هو القائد الحقيقي للحزب، وسطر ذلك نائبه نعيم قاسم[4]، بأن قرار الحرب والسلم في حزب الله هو بِرهن قرار المرشد الأعلى الإيراني؛ إذ يقول في مبحث ولاية الفقيه: «وهو (الولي الفقيه) الذي يملك صلاحية قرار الحرب أو السلم».

**ويضيف:** «لا علاقة لموطن الولي الفقيه بسلطته... والإمام الخميني (قده) كولي على المسلمين كان يدير الدولة الإسلامية في إيران كمرشد... وكان يحدد التكليف السياسي لعامة المسلمين في البلدان المختلفة في معاداة الاستكبار»!

**ومن هنا جاءت مسيرة الحزب الإرهابية في الداخل والخارج**؛ لتنفيذ أمر الولي الفقيه الإيراني، ومن سجل الإرهاب هذا ما يلي:

**في (١٩٨٣):** تفجير السفارة الأمريكية في بيروت.

**في (١٩٨٣) -أيضا-:** تفجيرات الكويت بالتعاون مع حزب الدعوة العراقي.

**في (١٩٨٨):** خطف طائرة كويتية تحمل (١١١) راكبًا على متنها، والهبوط في مدينة مشهد الإيرانية؛ من أجل الإفراج عن (١٧) مقاتل شيعي مسجونين في الكويت.

**في (١٩٩٦):** تفجير أبراج الخُبر في السعودية.

**في (٢٠٠٥):** اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري.

**في (٢٠١١):** مشاركة نظام بشار الأسد في قتل الشعب السوري الثائر.

**ولاحقًا تم العمل على تسييس حزب الله**، وإدخاله في العملية السياسية، فشارك في انتخابات البرلمان اللبناني، وأصبح له وزراء في الحكومة، وفرض الثلث الضامن أو المعطل على بقية الأطياف السياسية؛ بحيث أصبح هو المسؤول عن حالة الشلل

---

(١) http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/irans-support-for-terrorism-in-the-middle-east باختصار.

(٢) (حزب الله في جنوب شرق آسيا: تهديد متصاعد)، موقع «معهد واشنطن»، على الرابط:

http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/hizballah-in-southeast-asia-a-resurgent-threat

(٣) صحيفة «القدس العربي» (٢٠١٦/٢/٢٣):

http://www.alquds.co.uk/?p=٤٨٧٥٩٥

(٤) في كتابه «حزب الله المنهج التجربة المستقبل» (ص٧٢، ٧٥).

السياسي التي يعاني منها لبنان!

**أما عسكرة جيوب الشيعة في الخليج؛** فهي تتمثل في دعم إيران لشيعة البحرين للقيام بانقلاب عام (١٩٨١)، وتأسيس خلايا إرهابية متعددة، وتهريب أسلحة لهم، وقد كانت أحداث الدوار في (٢٠١١) النموذج الأكبر لهذه العسكرة؛ من خلال سيطرتهم على الدوار ومركز السلمانية الطبي، واستخدامهم للسلاح في وجه قوات الأمن.

**أما تسييس شيعة البحرين؛** فيتمثل في حركة الوفاق التي أظهرت العمل السلمي السياسي، وأبطنت العمل العسكري الإرهابي، مما استدعى حلّها وتقديمها للمحاكمة.

**وقد تكرر ذلك في الكويت؛** حيث ساهم شيعة الكويت في ثمانينيات القرن الماضي بتنفيذ تفجيرات مكة المكرمة بإيعاز من الحرس الثوري الإيراني، ومن ثم شاركوا في العملية السياسية مع ارتباطهم الإرهابي بإيران، كما تكشّف في قضية خلية العبدلي سنة (٢٠١٥)، بالتعاون مع حزب الله اللبناني.

**أما شيعة السعودية؛** فقد كان تنظيم الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية قد أقام معسكرات تدريب عسكرية لأتباعه السعوديين في إيران، برعاية الحرس الثوري؛ كما فضح ذلك عادل اللباد في مذكراته (الانقلاب: بيع الوهم على الذات)، وكما يتكشف حاليًّا من خلال المصادمات مع رجال الأمن في القطيف والعوامية.

**هذا هو الحال في زمن تصدير الثورة في مرحلة الخميني،** ومع مرحلة خامنئي تم توسيع الدائرة وعسكرة وتسييس الكثير من الجيوب الشيعية، واعتماد هذه السياسة.

**يقول الأستاذ طلعت رميح حول غاية هذه الإستراتيجية أنها:** «عسكرة المجموعات السكانية الشيعية في الخارج، وتحويلها إلى وضعية قادرة على الوصول إلى سلطة الحكم في بلدانها بقوة السلاح إن تمكنت، أو تفكيك وإضعاف الدول التي تعيش فيها تلك المجموعات السكانية؛ لتصبح إيران في وضع أقوى، فيما تدخل تلك الدول في وضع الجاهزية للاحتلال؛ عبر افتقادها القدرة على مواجهة إيران»[١].

**ويضرب الرميح مثلًا لهذه العسكرة؛ فيقول:** «قدمت لنا سيرة ومسيرة التشيع في نيجيريا نموذجًا واضحًا لفكرة وحالة النشاط الإيراني، وصولًا إلى عسكرة التشيع في بلد معين، فقد بدأت حركة التشيع لأول مرة في ثمانينيات القرن الماضي، عبر إبراهيم الزكزاكي؛ الذي ظل يعمل دون إعلان تشيعه لنحو (١٥) عاما، تمكّن خلالها -بدعم من الحرس الثوري الإيراني ومن ميلشيا نصر الله- من تشكيل عشرات الهيئات وعلى رأسها: المنظمة الإسلامية؛ التي صار لها مراكز ثقافية وتجارية وحسينيات ومستشفيات ومدارس، قامت بدورها بدفع عناصر مختارة إلى إيران، تحت عنوان: الدراسة في المعاهد والجامعات الإيرانية.

**وفي عام (١٩٩٥)** بدا أن الأمور قد استقرت وصار ممكنًا العمل وفق إعلان شيعي واضح، فأعلن الزكزاكي تشيعه، وهو ما أدى لحدوث انقسام كبير في المنظمة.

**كانت تلك هي بداية المرحلة الجديدة من نشاط التشيع،** أو كانت بداية الإعلان عن عسكرة التشيع، وهنا حدث الصدام مع الجيش النيجيري، ووقعت الاشتباكات التي أدّت لمقتل العديد منهم، وانتهت باعتقال الزكزاكي.

**ومَن تابع مقاطع احتفالات جماعة الزكزاكي** يجد بوضوح الطابع العسكري للاحتفال؛ من خلال المراسم التي تتم فيها، ومن خلال الملابس شبه العسكرية التي تبدأ بها تحت ستار: فتيان الكشافة والجوالة! وهو نفس الأمر الذي يلاحظ على احتفالات الحوثيين في البداية، ثم ظهرت الاستعراضات العسكرية على طريقة حزب الله اللبناني في مراسم دفن جثة حسين الحوثي قبل سنين.

**هذا النموذج، يطرح أبعادًا عميقة في خطة التمدد**

---

(١) (عسكرة التشيع)، طلعت رميح، مجلة «الراصد» الإلكترونية، عدد (١٥١).

**الإيراني**، بقدر ما يطرح ضرورات إدراك الجميع بأن لا دولة آمنة من وصول ظاهرة التشيع العسكري، أو عسكرة التشيع في داخلها.

**كما تكشف تلك التجربة عن فكرة اعتماد إيران لنشاطها في دولة** لتكون دولة أساس ومحور في نشر التشيع وعسكرته في إقليمها، بل في آفاق بعيدة، ولعل هذا ما جعل كُتابًا وإعلاميين يطلقون مصطلح: (حزب الله النيجيري) على حركة الزكزاكي، باعتبار الأخير شكّل قاعدة أساس للانتشار في أفريقيا، مثلما شكلت مليشيا نصر الله قاعدة أساس في نشر التشيع وعسكرته في البلاد العربية، بل في نيجيريا ذاتها».

**وهذه العسكرة للتشيع بدت بشكل واضح في العراق وسوريا؛** ففي العراق عمل الحرس الثوري على إدارة العراق، وكان قائد «فيلق القدس» اللواء قاسم سليماني هو الذي يمارس ذلك نيابة عن إيران، ويقول لماثيو ليفنت أنه بعث برسالة إلى قائد قوات التحالف الجنرال بيتريوس في أوائل عام (٢٠٠٨) يقول له فيها: «ينبغي أن تعرف أنني قاسم سليماني: الشخص الذي يتحكم في السياسة الإيرانية التي تخصّ العراق ولبنان وغزة وأفغانستان.

**وفي الواقع،** أن سفيرنا في بغداد هو عضو في «قوة القدس»، ومن سيخلفه هو عضو في «قوة القدس» أيضًا»[1].

**ولذلك ظهر في العراق ما يزيد عن (٥٠) مليشيا شيعية طائفية،** مدعومة من إيران والحرس الثوري، وشكلت - لاحقًا - ما عرف بالحشد الشعبي، وقد ارتكبت أبشع المجازر الطائفية بحق المواطنين العراقيين؛ وخاصة أهل السنة منهم.

**أما في سوريا؛ فقد استجلب الحرس الثوري مليشيات شيعية طائفية إرهابية** من دول متعددة؛ كأفغانستان وباكستان واليمن والكويت والسعودية والبحرين ولبنان والخليج والعراق وأفريقيا وأذربيجان ومن دول شرق آسيا، ويقدر عدد أفراد هذه الميليشيات بحوالي (٨٠) ألف إرهابي، ويقال: إن الحرس الثوري كان قد شكل في (٢٠٠٩) قوات من مرتزقة شيعة من عدد من البلدان أطلق عليهم لقب: (نخسا)، وأنهم هم المتواجدون في سوريا[2].

**وبغضّ النظر عن دقة المعلومة هذه،** لكن من الثابت أن العسكرة تطال غالب الجيوب الشيعية، وأن أفراد هذه المليشيات الشيعية في العالم مستعدون للتحرك والقتال في أي مكان بالعالم بما يخدم الأجندة الإرهابية الإيرانية.

**وفي اليمن؛ نجد مثال الحوثيين الذين صنعتهم إيران عبر (فيلق القدس وحزب الله)**، بحيث أصبح لهم منابر إعلامية وسياسية، ومليشيا عسكرية قاتلت الدولة (٦) مرات، وتوجت بانقلاب عسكري طائفي إرهابي على الدولة والمواطنين كافة.

**ومن مظاهر العسكرة للجيوب الشيعية:** حرص إيران على تهريب السلاح لهذه الجيوب، ولو أخذنا حالة أفريقيا لوجدنا أن إيران تورطت بالعديد من حالات تهريب السلاح لجيوب شيعية وجماعات معارضة، فقد «كشف تقرير ميداني أعدّه مركز بحوث تسليح الصراع بالتعاون مع العديد من المؤسسات بين سنتي (٢٠٠٦ و٢٠١٢) عن أنه مِن بين (١٤) حالة كشف فيها عن وجود أسلحة إيرانية هناك فقط (٤) حالات كانت مع الحكومات والعشر الباقية مع جماعات غير نظامية، حيث كانت تدعم الانفصاليين في منطقة «كاسامانس» في السنغال ومتمردي ساحل العاج، وجامبيا، وفي نيجيريا حركة إبراهيم الزكزاكي، الأمر الذي تسبب - لاحقًا - بقطع حكومات هذه الدول علاقاتها مع إيران»[3]، وقد استخدم شيعة نيجيريا السلاح في الصدام مع الجيش النيجيري سنة (٢٠١٦).

**«وتشكل منطقة شرق أفريقيا إحدى المحطات**

---

(١) (عسكرة التشيع)، طلعت رميح، مجلة «الراصد» الإلكترونية، عدد (١٥١).

(٢) http://cutt.us/QTuR٤

(٣) (السلاح الإيراني في أفريقيا)، محمد خليفة صديق، «الراصد» عدد (١٥١).

**الإستراتيجية المهمة لإيران**؛ لتعميق وجودها في البحر الأحمر، ففي أعقاب زيارة الرئيس الإريتري أسياسي أفورقي لطهران في (٢٠٠٨) تردد أن إيران حصلت على تسهيلات في ميناء عصب على البحر الأحمر، وهو ما يعطيها نقطة ارتكاز تمكّنها من القيام بمهام استخبارية ولوجستية في المنطقة لدعم الموالين لها في أفريقيا واليمن، ولعل سعي إيران لتطوير علاقاتها مع دول شرق أفريقيا الأخرى مثل: كينيا وتنزانيا وجزر القمر يؤكد هذا المنحى الإستراتيجي في الاختراق الإيراني لأفريقيا»[١].

**ولا يقتصر هذا التسليح للجيوب الشيعية على أفريقيا ومناطق التوتر في اليمن والبحرين والكويت**؛ والتي قبض فيها مرارًا على شحنات أسلحة إيرانية لخلاياها النائمة، بل حتى في باكستان عَثرت الشرطة على مخازن أسلحة في سرداب لمزار شيعي في منطقة كوهات جنوب بيشاور بباكستان؛ حيث عثروا على مدافع رشاشة ثقيلة، ومئات من القذائف المضادة للدبابات، وصواريخ مضادة للطائرات، إضافة إلى كميات كبيرة من صناديق الذخيرة والأسلحة المتنوعة!![٢].

**كما أن إيران قطعت شوطًا كبيرًا في تكوين مليشيات شيعية ضخمة** في باكستان (الزينبيون)، وفي أفغانستان (الفاطميون)، وقد بلغ عدد المرتزقة من الشيعة الأفغان الذين قاتلوا الثورة السورية بجانب قوات بشار الأسد (١٤) ألف مرتزق! وقد قتل منهم (١٠٠٠) فرد[٣].

**وبجوار عسكرة جيوب التشيع هناك سعي حثيث لتسييس الجيوب الشيعية**؛ من خلال انخراطها في الأحزاب السياسية القائمة، أو تشكيل حزب خاص بهم، والترشح للبرلمانات، والتواصل مع الإعلاميين، وإنشاء منابر إعلامية خاصة بهم؛ وذلك للحفاظ على مكتسباتهم، والتدخل في عملية صناعة القوانين بما يخدمهم، وهذا أصبح ظاهرة عامة في دول تسلل لها التشيع مؤخرًا مثل: أندونيسيا والفلبين وماليزيا -من دول الآسيان-، وفي مصر والمغرب -في الحالة العربية-.

**ومن أمثلة الواجهات السياسية للجيوب الشيعية والمتشيعة**: التحالف الإسلامي الوطني بالكويت، حزب الحق وأنصار الله باليمن، حزب الوحدة في تونس، حركة الصابرين في غزة، حزب الوحدة الإسلامية بأفغانستان، حركة تطبيق الفقه الجعفري بباكستان، وغيرها[٤].

**وفي ماليزيا، وبرغم قلة عدد المتشيعين** (حوالي ٢٠٠٠ شخص فقط)[٥] بسبب سياسات الحكومة باعتبار التشيع فرقة ضالة ومنحرفة ومحظورة؛ إلَّا أنه من الواضح وجود تركيز على تسييس المتشيعين من خلال استقطاب بعض القيادات السياسية للتشيع، ومن خلال تسييس مَن تشيّع ودفعهم للانخراط في الأحزاب السياسية الماليزية المتنوعة، فهناك شخصيات متشيعة في الحزب الحاكم -وهو الحزب الوطني-، وهناك شخصيات في أحزاب المعارضة؛ خاصة الحزب الإسلامي وحزب العدالة، وأخيرًا أسس أحد قيادات المتشيعين -والذي كان نائب الحزب الإسلامي- حزبًا جديدًا باسم: «حزب الأمانة الوطني»، واستقطب الكثير منهم فيه؛ للتأثير في عملية صنع القرار ولحماية مشروعهم عبر البوابة السياسية في المستقبل[٦].

**ومن خلال الواقع كان هناك مساران للعسكرة والتسييس:**

**الأول**: العسكرة ثم التسييس؛ كحزب الله اللبناني.

**والثاني**: من السياسة للعسكرة، مثل: الحوثيين وحزب الحق

(١) (السلاح الإيراني في أفريقيا)، محمد خليفة صديق، «الراصد» عدد (١٥١).

(٢) صحيفة «الحياة» (٢٨/١٢/٢٠١٦) على الرابط التالي: http://cutt.us/ScX٧٩

(٣) http://www.noonpost.org/content/١٦٢٨٤

(٤) (الجيوبوليتيك الشيعي الواقع والمستقبل)، د. محمد السلمي ود. عبد الرؤوف الغنيمي، مجلة «الدراسات الإيرانية»، العدد الأول، (ص٥٣).

(٥) «دعوة الشيعة الإمامية الإثني عشرية في ماليزيا»، محمد حفيظ بن عبد البصير، رسالة جامعية غير منشورة، (ص١٠٤).

(٦) المصدر السابق، (ص٧٦).

في اليمن.

**ولكن الثابت أن سياسة إيران تسعى دومًا للجمع بين الأمرين**، لكن نضج الظروف هو ما يحدد البدء في موضوع السلاح؛ لكونه أخطر، بينما المسار السياسي أصبح قضية معتمدة ولازمة لترسيخ النفوذ الإيراني في الدول المستهدفة عبر هذه الواجهات الوطنية!

**ثالثًا: دعم ورعاية وتمويل تنظيمات إرهابية عالمية ومحلية:**

**منذ بداية مسيرة نظام الملالي تم اعتماد سياسة** دعم وتمويل جماعات العنف والثورة من مختلف البلدان والأديان، طالما أنها تتقاطع مع مصالح ملالي طهران، فآوت إيران قادة الجماعة الإسلامية المصرية مطلع الثمانينيات الميلادية من القرن الماضي، ثم تواصل ذلك بدعم تنظيم القاعدة وداعش على صعيد التطرف الإسلامي وجبهة تحرير فلسطين اليسارية بزعامة أحمد جبريل، ونفس الوقت كان لطهران صلات بعصابات تهريب المخدرات العالمية، والمافيا في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وأيضًا أقام الحرس الثوري صلات قوية بالعديد من تنظيمات المعارضة المسلحة في أفريقيا.

**وسنقصر حديثنا على توظيف وتمويل وإيواء الحرس الثوري وفيلق القدس** للتنظيمات الإرهابية الإسلامية للعدوان على الدول الإسلامية المخالفة لإيران؛ لفرض إرادتها وأجندتها عليها:

**حيث تم احتضان ودعم الجماعة الإسلامية** بإيواء قياداتها الهاربة من مصر عقب اغتيال السادات، وفتحت لهم إذاعة طهران العربية؛ يحرّضون منها ضد مصر[1]، قبل أن يتحول موقف الجماعة الإسلامية -لاحقًا- من إيران عقب الثورة المصرية (٢٠١١)، وتم دعم مصطفى بويعلى وجماعته في الجزائر[2]، في ثمانينيات القرن الماضي.

**وفي مطلع التسعينيات** نسجت علاقات دعم وتدريب بين الحرس الثوري وحزب الله من جهة، وتنظيم الجهاد وأسامة بن لادن -حينما كان في السودان-، وكان عماد مغنية عرّاب هذه العلاقة والتدريب لكوادر الجهاد والقاعدة في لبنان بمعسكرات حزب الله، كما قام مستشارون من الحرس الثوري بتدريب عدد آخر في السودان[3].

**وبعد هذه التجربة اكتشف الإيرانيون أهمية تصدير شباب الجماعات السنية في واجهة مقاومة الدول السنية**، ولذلك اعتمدوا هذه السياسة؛ فنصّت الخطة الخمسينية السرية الإيرانية على ضرورة تثوير الشباب السني ضد حكوماته، مع تقريب الشيعة من الأنظمة القائمة، وفعلًا عقب هزيمة إيران أمام العراق وموت الخميني، وتسلم خامنئي ورفسنجاني الحكم، ثم مجيء خاتمي؛ تحول الشيعة من الصدام مع دول الخليج (تفجيرات مكة، تفجيرات الكويت، محاولة اغتيال أمير الكويت، محاولة انقلاب بالبحرين) إلى حلفاء ورفقاء سلميين في العملية الديمقراطية، وتحول السنة من حلفاء إلى معارضة!

**ففي التسعينيات** قامت إيران بدعم الجماعات المتطرفة في سيناء، ولا تزال تدعمها لليوم؛ فقد «كشفت وثائق ويكيليكس عن محاولات إيران لتجنيد بدو سيناء للمساعدة في تهريب الأسلحة، ومساعيها لتشييد بنية تحتية هناك، وتجنيد عملاء لها في أنحاء مختلفة في مصر.

**وهو الأمر الذي أكده الكشف عن خلية حزب الله** التي تم ضبطها في عام (٢٠١٠)، ولم يكن خافيًا عنها أصابع إيران، فيما رصدت الأجهزة الأمنية المصرية -وبحسب بعض المواقع

(١) «من تاريخ الحركات الإسلامية مع الشيعة وإيران»، أسامة شحادة، (ص١٤١).

(٢) «الجماعات المتطرفة وإيران»، سعيد بن حازم السويدي، (ص ٨٤).

(٣) المصدر السابق، (ص١٠٢).

الصحفية- جهود إيران في تأسيس المزيد من الميليشيات الشيعية المسلحة على حدود مصر الشرقية والغربية والجنوبية، وذلك من خلال الإعلان عن تأسيس أول جماعة شيعية مسلحة في غزة باسم: «حركة الصابرين»، يتم تسريبها عبر الأنفاق إلى داخل سيناء لخلق بؤر مسلحة لتنفيذ عمليات إرهابية، ليس فقط في سيناء بل وفي داخل العمق المصري...

**وفي هذا السياق** تأتي أهمية الشهادة التي أدلت بها عام (٢٠١٢) بعض قيادات الجماعة الإسلامية المصرية؛ خلال ندوة استضافتها «صحيفة الأهرام»... إذ لم تتردد الجماعة الإسلامية على لسان بعض قادتها (الدكتور عصام دربالة -رئيس مجلس شورى الجماعة-، والدكتور طارق الزمر -رئيس المكتب السياسي لحزب البناء والتنمية-، والدكتور صفوت عبد الغني -المتحدث الرسمي وعضو شورى الجماعة-) أن تشير بأصابع الاتهام إلى إيران باعتبارها طرفًا مستفيدًا من توتر الأجواء في سيناء، وبالتالي فإنها يمكن أن تكون متورطة بالفعل في هذه الحادثة»[١].

**وهو ما تكرر في الجزائر؛ حيث** «تلقت الجماعات الإسلامية المسلحة من إيران دعمًا تمثل في الدورات التدريبية لبعض عناصرها في ثكنات للحرس الثوري بطهران ومعاقل حزب الله في جنوب لبنان، فقد ألقت السلطات الأمنية الجزائرية القبض على مجموعة من الإسلاميين المسلحين المنتمين لتنظيم «الفيدا»[٢]، اعترف عناصرها بأنهم تلقوا تدريبات موسّعة على حرب العصابات في إحدى ثكنات الحرس الثوري الإيراني في طهران[٣].

**وفي تفاصيل هذا الموضوع -الذي يكتنفه الكثير من الغموض!-** يبرز اسم (محفوظ طاجين)؛ الذي كان النائب الأول لأمير «الجماعة الإسلامية المسلحة» شريف قوسمي؛ الذي خلفه بعد مقتله في (١٩٩٤)، وقد كان طاجين متهمًا بالجزأرة[٤] والتشيع، وهو مَن كان يقف وراء إرسال مقاتلين للتدرب في لبنان، وهذا أحد الأسباب التي أثارت الشكوك حوله»[٥].

**وكانت السفارة الإيرانية بالجزائر هي من تتولى دعم هذه الجماعات المتطرفة**، وبعد قطع العلاقات الإيرانية الجزائرية أكملت المشوار بعض السفارات الإيرانية في أوروبا -وخاصة بريطانيا وفرنسا-؛ من خلال نشطاء التنظيمات المتطرفة والمقيمين هناك[٦].

**وفي القرن الواحد والعشرين** تم زيادة احتواء وتمويل وتوظيف جماعات العنف الإسلامية ضد دولها، فعقب أحداث (١١ سبتمبر)، والإطاحة بإمارة طالبان، تم الترحيب بلجوء قادة تنظيم القاعدة لإيران[٧]، ومن ثم تم إصدار بعض قادة القاعدة في إيران أوامر لتنظيم الجهاد في جزيرة العرب لتنفيذ عمليات إرهابية في السعودية عام (٢٠٠٣)[٨]، وقد اعترف بتقاطع المصالح مع طهران أبو محمد العدناني -الناطق الإعلامي لداعش-[٩]، وأبو حفص الموريتاني -مفتي القاعدة-[١٠]، حيث كانت إيران هي معبر الأموال والأفراد للتنظيم، وأثبتت ذلك وثائق ابن لادن في أبوت أباد[١١]، كما كشف عن مرور غالبية منفذي هجمات (سبتمبر) بإيران، ولذلك أدانت المحاكم الأمريكية إيران بالمسؤولية عن تفجيرات (١١ سبتمبر).

**كما قامت إيران برعاية أبي مصعب الزرقاوي** لنشر

(١) (إيران وسيناء.. محاولة للبحث عن الدور الخفي)، أسامة الهتيمي، «الراصد» العدد (١٥٦).

(٢) اختصار بالفرنسي لتنظيم الجبهة الإسلامية للجهاد في الجزائر.

(٣) «أسرار الشيعة والإرهاب في الجزائر»، أنور مالك، (ص٤٨).

(٤) مجموعة إسلامية جزائرية ترفض عالمية القيادة للحركة الإسلامية (الإخوان المسلمين)، وتتبنى القيادة القطرية المحلية الجزائرية لتنظيمها.

(٥) (هل دعمت إيران الإرهاب في الجزائر؟)، بوزيدي يحيى، «الراصد» عدد (١٥٥).

(٦) «أسرار الشيعة والإرهاب في الجزائر» (ص٥٦).

(٧) «الجماعات المتطرفة وإيران»، سعيد بن حازم السويدي، (ص١٢٥).

(٨) المصدر السابق، (ص١٦٨).

(٩) المصدر السابق، (ص١٧٢).

(١٠) مقابلته مع قناة «الآن»: http://cutt.us/٧٩ZBb

(١١) http://cutt.us/j٦XjO

الفوضى في العراق، ورفضت تسليمه للأردن، وفعلًا تم تسهيل دخوله للعراق، وإمداده بالسلاح والخدمات اللوجستية، وجعله في واجهة مقاومة الأمريكان مع الهجوم على الشيعة العراقيين؛ ليزيد تشبث الشيعية العراقيين بالنجدة الإيرانية![١].

**وقد قام نظام بشار الأسد برعاية تسلل القاعدة للعراق** عقب الاحتلال الأمريكي؛ حتى اضطر نوري المالكي -رئيس الوزراء العراقي- لتقديم شكوى ضد سوريا في مجلس الأمن عام (٢٠٠٩)[٢].

**ومع قدوم الربيع العربي لسوريا، وبدء الثورة السورية** سرعان ما ظهر تنظيم داعش؛ الذي هو نسخة أكثر تطرفًا وغلوًّا من القاعدة، والذي لقي دعمًا غير مباشر من إيران ووكلائها في العراق وسوريا، بإفراج بشار عن كثير من أعضاء وقادة القاعدة المعتقلين بسجن صيدنايا عام (٢٠١١)[٣]، وعبر تسهيل الأمن العراقي فرار بعض قادة القاعدة من سجن أبو غريب لسوريا سنة (٢٠١٣)؛ بحسب اتهامات وزير العدل العراقي حسين الشمري[٤]، فظهرت داعش بإعلان أبي بكر البغدادي قيام دولة الإسلام في العراق وسوريا.

**وهنا نجد أن الجيش العراقي ينسحب بأمر من نوري المالكي من الموصل دون سبب مقنع!** ويسلّمها إلى داعش، بما فيها من مئات الملايين ومليارات الذخائر، ولذلك أوصى البرلمان العراقي بتحميله المسؤولية عن ذلك وتقديمه للقضاء[٥]، وبالمقابل نجد الجيش السوري ينسحب من أمام داعش في سوريا بشكل غير منطقي!

(١) «الجماعات المتطرفة وإيران»، سعيد بن حازم السويدي، (ص١٣٨، ١٧٩).

(٢)
http://archive.aawsat.com/details.asp?issueno=١٠٩٩٢&article=٥٣٤٧٢٣#.WZxlWFEjHIU

(٣)
http://www.huffpostarabi.com/٢٠١٦/١٢/٠١/story_n_١٣٣٥٣٨٢٦.html

(٤) http://cutt.us/WjNn١

(٥) http://cutt.us/n٨xYg

**ثم تكشف الأيام عن قيام داعش بغزو مناطق الثوار،** والاستيلاء عليها، ومن ثم تجريد هذه المناطق من السلاح، وتفرض على السكان اتّباع تعليماتها، وبعد ذلك تنشر بينهم فكرها الإرهابي، ثم تقوم بالانسحاب من هذه المناطق وتسليمها لنظام بشار والمالكي ومليشيات الشيعة وإيران الطائفية والإرهابية؛ كما حصل في العراق أو تدمر بسوريا، أو تبقى بها وتحارب بطريقة تجلب الدمار التام للمدينة، ومن ثم ينسحب/يتبخر جنود داعش منها! ويبقى أهلها ضحايا القصف والتدمير والتهجير والاعتقال والاضطهاد؛ كما حدث في الموصل.

### * موقع ماليزيا من المشروع الإيراني:

**هناك اهتمام للمشروع الإيراني بمنطقة جنوب شرق آسيا عمومًا، وبماليزيا تحديدًا،** ومَن يراقب النشاط التبشيري في دول المنطقة (أندونيسيا والفلبين وتايلاند وسنغافورة وبورما وماليزيا) يلاحظ بسهولة الجهود الإيرانية المتعاظمة في نشر التشيع؛ بتكثيف استقطاب الطلبة للدراسة في طهران أو جامعة المصطفى بأندونيسيا، وسيلاحظ الدور الواسع للسفارات والبعثات الثقافية الإيرانية في اختراق المؤسسات التعليمية والسياسية في هذه الدول، وسيرى التوسع في محاولة توظيف الاقتصاد والتجارة لترسيخ النفوذ الشيعي والإيراني فيها[٦]، كما سيجد بوادر تسييس الشيعة فيها من خلال العمل الحزبي والإعلامي، وقد يكون في المستقبل تكرار لنموذج «الملشنة» الشيعية؛ كما حدث في باكستان وأفغانستان.

**ومما يؤكد أهمية ماليزيا في المشروع الإيراني** حجم الطلبة الشيعة الإيرانيين والعراقيين الذين يدرسون في ماليزيا، والذي يفوق (١٠) آلاف طالب[٧]، ومعلوم أن جزءًا لا يستهان به منهم مرتبط بالحرس الثوري ومشروع نشر التشيع وتكوين

(٦) https://www.sasapost.com/iran-in-asia/

(٧) «دعوة الشيعة الإمامية الإثني عشرية في ماليزيا»، (ص٦٧).

الخلايا النائمة.

**وقام محمد رضا موحدي** -مؤلف كتاب «توجيهات للسفير»؛ وهو مخصص لدعاة الشيعة في الحج لكيفية التعامل مع حجاج أهل السنة- بتخصيص أهل ماليزيا بفصل خاص؛ فقال عنهم: «إنهم مؤدبون، ويجيبون على الأسئلة بالسهولة، يستمعون جيدًا، ويجيبون مع كمال الوقار والأدب؛ حتى لو كان مخالفًا»[1]، **مما يكشف عن خطة معدة بإتقان للتعرف على خصائص الشعوب وكيفية اختراقها والتسلل بينها لنشر التشيع**، ومن ثم الولاء والتبعية لملالي طهران وقم.

**واختراق ماليزيا وكسبها للمشروع الإيراني يعد هدفًا كبيرًا**؛ لِما لماليزيا من قوة علمية واقتصادية يمكن أن ترفد المشروع الإيراني بعناصر نافعة وثمينة!

## ▪ توصيات:

- **فضح البنية الفكرية الإرهابية والطائفية** التي تأسس عليها نظام الملالي.
- **تقديم هذا النظام للمحاكمة على جرائمه الإرهابية**، ودعمه للتنظيمات الإرهابية الشيعية والسنية.
- **العمل على مساعدة الشعب الإيراني** للحصول على حقوقه السياسية والاقتصادية، والعيش بكرامة وسلام مع الدول المجاورة.

(١) (التشيع في أفريقيا)، تقرير ميداني، إصدار مركز «نماء»، (ص١١٣).

# التشيع في شمال إفريقيا وجنوب الصحراء
# -دراسة مقارنة-

بوزيدي يحيى- كاتب وباحث جزائري

خاص بـ «الراصد».

**ارتبط صعود إيران الإقليمي بعد ثورة سنة (١٩٧٩) بالتشيع ارتباطًا وثيقًا**؛ حيث تلازم الحضور الإيراني في كل مكان بعمل ممنهج لنشر التشيع، وبحكم التواجد التاريخي للتجمعات الشيعية في الخليج العربي ولبنان وتركيا وغيرها من الدول في آسيا؛ فإن ما ميّز هذه التجمعات هو التغير في مطالبها التي حاولت محاكاة التجربة الثورية الإيرانية، واستنساخ نموذج الجمهورية الإسلامية في أوطانها.

**ونظرا لمعرفة هذه المجتمعات بالعقيدة الشيعية**؛ فإن الصدام الذي وقع بمستويات متفاوتة -خاصة مع الأنظمة السياسية الحاكمة- كان دورة تاريخية أخرى من دورات الصدام، غير أنه في الحالة الإفريقية اقترن التأييد السياسي لإيران في دولها الإسلامية بنشاط تبشيري شيعي اختلف من حيث مداخله وآلياته من بلد لآخر.

**وقد تناولَت الكثير من الدراسات انتشار التشيع في كل بلد على حدة أو في منطقة من المناطق**؛ كشمال إفريقيا وغربها وشرقها أو جنوبها، غير أن ما ينقص في هذا الجانب هو: الدراسات المقارنة بين مجتمع وآخر، فرغم القواسم المشتركة للقارة الإفريقية التي عَرفت تقريبا التحولات التاريخية نفسها، ولعل أبرزها: الفتوحات الإسلامية والموجة الاستعمارية الأوروبية، وحتى الخصائص المجتمعية المتشابهة؛ إلا أنه مع ذلك توجد الكثير من الاختلافات بينها، وأبرزها ذلك التباين بين إفريقيا جنوب الصحراء وشمال إفريقيا، واللتين تفصل بينهما الصحراء الكبرى التي كانت ولا زالت موطنًا للطوارق، الذين يشكلون حاجزًا بشريًّا بين العرب والبربر والعرق الإفريقي الأسود في الجنوب.

فقد وقفت الصحراء الإفريقية الكبرى كعقبة طبيعية أمام الاتصال بين شمال وجنوب إفريقيا، إلى أن تمكن العرب المسلمون من تحديد معابر عبر الصحراء، وبناء محطات تزويد واستراحة على طول تلك الطرق[1].

وبالنسبة لموضوع التشيع؛ فإن هذه المنطقة لم تشهد نشاطًا تبشيريًّا شيعيًّا مشابهًا لذلك الذي عرفته في الشمال، أو الجنوب على حد سواء، ولعل هذا الاستثناء يمثل نقطة بداية تعكس وجود فوارق أخرى للظاهرة في شمال إفريقيا، وفي جنوب الصحراء؛ حيث يعد الحزام الصحراوي فاصلًا بين الإقليمين، وفي الوقت نفسه يعكس خصائص طبيعية واجتماعية مميزة لها؛ وتبعًا لذلك سياسية.

وانطلاقًا من الخصوصيات المميزة لهذه المناطق الجغرافية فإن الدراسة تطرح الإشكالية التالية: **كيف ارتقى التشيع في بعض الدول والمناطق إلى مستوى الظاهرة، وبقي محصورًا عدديًّا وجغرافيًّا في مناطق أخرى؟** سنحاول الإجابة على هذه الإشكالية من خلال العناصر التالية:

## أولًا: حجم الانتشار:

قبل الخوض في نقاط تقاطع وتمايز ظاهرة التشيع بين النطاقين الجغرافيين -محل الدراسة- يتوجب في البداية الوقوف عند حجم انتشارها في كل نطاق، والدلالات التي يمكن استخلاصها من ذلك.

وفي هذا الباب تتضارب الأرقام للتعقيدات التي تحيط بالظاهرة! فالمصادر الشيعية تضخم حجمهم بشكل كبير جدًّا، ولا تستند ادعاءاتها على دلائل موضوعية[2]، والجهد الأكاديمي الأهم جاء في تقرير «التشيع في إفريقيا» الصادر عن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في (٢٠١١).

وقد خلص التقرير إلى تصنيف الدول الأفريقية إلى أربعة أقسام[3]:

١ - دول وصل فيها التشيع إلى مستوى الظاهرة، وهي ثلاث دول: نيجيريا؛ حيث «التشيع منتشر وله وجود منظم، وهي أكثر بلاد أفريقيا من حيث انتشار التشيع ووجود توتر بين الشيعة والسنة»، والدولتان الأخريان هما: غانا، وتونس.

٢ - دول يصل فيها النشاط الشيعي إلى مستوى الظاهرة من حيث الجهود المبذولة والمؤسسات؛ من مدارس ومساجد وحسينيات وبعثات دراسية، مع تحوُّل محدود إلى المذهب الشيعي، والدول هي: سيراليون، وكينيا، وغينيا كوناكري، وساحل العاج، والسنغال، وتنزانيا، وجزر القمر، والمغرب، والجزائر.

٣ - دول يوجد فيها نشاط ملموس ومتزايد للتشيع، ولكنه لم يتحول إلى كونه ظاهرة؛ لا في المؤسسات، ولا في اعتناق أهل البلاد للمذهب، والبلاد هي: النيجر، وبِنِين، ومالي، والكاميرون، والكونغو، والسودان، وأوغندا.

٤ - أما الدول التي لا يعدّ النشاط الشيعي فيها ملموسًا أو ظاهرًا، و«لا يمثل ظاهرة لا في مؤسساته ولا في معتنقيه»، فهي: توغو، وليبيريا، وموريتانيا، وتشاد، وجيبوتي، والصومال، وموزمبيق، وإثيوبيا، وغامبيا، والغابون، وغينيا بيساو، وبوركينا فاسو.

وثمة دولة يسكت التقرير عن تقييمها، وهي: مصر، ولكن

(١) قاسم الدويكات، «مشكلات الحدود السياسية في الوطن العربي: دراسة في الجغرافيا السياسية»، ب د ن، (ط١، ٢٠٠٣)، (ص١٤).

(٢) يمكن في هذا الإطار الرجوع على سبيل المثال لا الحصر إلى مقالة على موقع «الجزيرة» اعتمدت مصادر شيعية، وكيف يضخم أرقام المتشيعين في كل الدول
=
الإفريقية، محمد السعيد، (وميض النار.. رقعة الحرب السعودية الإيرانية في أفريقيا)، «الجزيرة نت» (١٠/٠٥/٢٠١٧)، على الرابط: http://cutt.us/EkXO٣

(٣) هيئة التحرير، (المد الشيعي في إفريقيا هل تحول إلى ظاهرة؟)، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، (١٣ جمادى الأولى، ١٤٣٣هـ)، على الرابط: http://taseel.com/articles/viewprint/١١٤٢

من واقع ما ورد عنها نستطيع أن نُلحِقها ضمن المجموعة الثالثة، فقد ورد أن للشيعة نشاطًا تعليميًّا وثقافيًّا وإعلاميًّا في مصر، ومع ذلك ما يزال التأثير الشيعي محدودًا قياسًا بعدد السكان وحجم النشاط الإعلامي والثقافي في مصر بشكل عام[1].

**ثانيًا: مأسسة التشيع:**

**يسعى المتشيعون لشرعنة وجودهم وتطويره؛** من خلال خلق هياكل مؤسساتية تمنحهم الصيغة القانونية للنشاط، وأيضًا توفر فضاء للتواصل بينهم، ما يمكّنهم من التعاضد والتعاون، وفي الوقت نفسه ممارسة نشاط دعوي.

**من هنا؛** فإن البعد المؤسساتي يشكل أحد المؤشرات على تغلغل التشيع في المجتمعات الأفريقية وحجم انتشاره والموقف المجتمعي منه، وحضورهم المؤسساتي يتفاوت من بلد إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى، ووفق التقسيم المعتمد للدراسة فإنه في الجنوب أكثر بكثير مقارنة بالشمال، ولكنه يتفاوت من دولة إلى أخرى، ففي بعض الدول الإفريقية لا يتجاوز عدد المؤسسات الشيعية أصابع اليد الواحدة؛ كبنين وبوركينا فاسو، وتوغو، وغامبيا، وليبيريا، ومالي، وغينيا بيساو، وتشاد، والغابون، وجيبوتي، وإثيوبيا.

**أما في الدول الأخرى؛** فهناك عدد لا بأس به يتوزع بين مساجد، وحسينيات، ومدارس، وجمعيات، وحتى جامعات، ومن الأمثلة على ذلك: وجود (١٢) مسجدًا للشيعة في جنوب إفريقيا، إضافة إلى (٨) حسينيات.

**وفي سيراليون** هناك مدارس، ومعاهد علمية، ومستشفيات، ومؤسسات خيرية، ومساجد وأهمها: مدرسة الزينبية، ومؤسسة أهل البيت -بجوار مسجد الحسين-، والمعهد العلمي للدراسات الإسلامية، وجامعة علمية حديثة بدعم إيراني، ومجمع أهل البيت.

**وفي نيجيريا** توجد (٥٠) مدرسة.

**وفي غانا** هناك مؤسسة أهل البيت، ومؤسسة الإمام الحسين، ومسجد الرسول الأكرم، ومعهد أهل البيت، ومدرسة الإمام الصادق، ومسجد الحسين، ومدرسة الإمام المهدي، ومؤسسة الكوثر، ومكتبتان، إضافة إلى (٧) معاهد، و(٧) مساجد، ومراكز خدمات اقتصادية بسيطة.

**وفي غينيا كوناكري** أحصيت (٩) مدارس، و(٤) جمعيات ومركز فيه حوزة.

**وفي ساحل العاج** -أيضًا- هناك (١٢) مدرسة، و(٧) جمعيات، و(٣) مساجد، و(٣) حسينيات، و(٦) مراكز ثقافية، ومستوصفان.

**وفي السنغال** -أيضًا- هناك (٤) مراكز، و(٥) مساجد، و(٦) مدارس، ومستوصف، وكلية الحسنين، والمركز الثقافي الإيراني، وحوزة الرسول الأكرم، وكلية فاطمة الزهراء، ومؤسسة المزدهر، والمؤسسة الاجتماعية الإسلامية، و(٣) جمعيات، و(١٠) مراكز.

**وفي الكاميرون** يوجد معهد أهل البيت، ومدرسة، و(٧) مساجد.

**وفي الكونغو** أحصي (١٦) مركزًا، و(٣) مساجد، وجامعة، وأنشطة خدماتية.

**وفي أوغندا** هناك (٣) مدارس، وحوزة الإمام الصادق، ومركز أهل البيت الإسلامي، ومسجدان، وجمعية الصادق النسائية، و(٣) مؤسسات، ومعهد أهل البيت، ومكتبة الإمام الصادق.

**وفي كينيا** إضافة إلى المركز الثقافي الإيراني، هناك (٥) مساجد، و(٥) مدارس، والنادي الجعفري، و(٣) مراكز، و(٣) جمعيات، وخدمات طبية، ومستوصفان.

**وفي تنزانيا** (٣) مراكز، و(٦) مدارس، أكاديمية ولي العصر، معهد، كلية تدريب المعلمين، حوزات، (٦) مساجد، حسينيات.

**وفي موزمبيق** (٤) مدارس، حسينيات.

---

(١) هيئة التحرير، (المد الشيعي في إفريقيا هل تحول إلى ظاهرة؟)، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، (١٣ جمادى الأولى، ١٤٣٣هـ)، على الرابط: http://taseel.com/articles/viewprint/١١٤٢

**وفي جزر القمر** يوجد مركز التبيان العلمي، كلية الحقوق والعلوم الإسلامية، مركز طبي -تابع للهلال الأحمر الإيراني-، لجنة إمداد الخميني، مركز الثقلين، مركز الإمام الخميني الثقافي.

**أما في دول شمال إفريقيا؛ فإن البعد المؤسسي محدود جدًّا:**

**ففي الدول المغاربية** توجد فقط ثلاث جمعيات في المملكة المغربية، ليس لها نشاط كبير جدًّا، وتنعدم في الجزائر وبعضها على ندرتها فإنها تعمل بطرق غير مباشرة تحت عناوين لا تعكس هويتها.

**والحضور المؤسساتي أكثر بقليل في مصر؛** حيث توجد (٤) جمعيات، ودار نشر.

**وفي موريتانيا** يشار إلى وجود حسينيات في العاصمة نواكشوط، يديرها موريتانيون، ويمارسون فيها عباداتهم وكل ما يريدون في مواسمهم[(١)].

**أما في تونس** وبالعودة إلى التقارير الميدانية فإن الجزء المخصص للحالة التونسية لا يقدم أي أرقام عن عدد المتشيعين، كما يشير إلى جمعية واحدة فقط (جمعية أهل البيت الثقافية)، وبذلك فإن تصنيفها ضمن الدول التي بلغ فيها التشيع حد الظاهرة فيه قدر من المبالغة، وحتى الجزائر والمغرب اللتين صنفتا من الدول التي بلغت فيها الأنشطة مستوى الظاهرة لا يوجد نشاط مؤسسي يعضد هذه الفرضية.

**والحضور الأكبر كان في السودان** التي أحصي بها (٣) مدارس، ومعهد الإمام جعفر الصادق، و(٦) مكتبات، و(١٠) جمعيات، والمركز الثقافي الإيراني، و(١٥) حسينية، غير أنه تم غلقها في (٢٠١٦).

(١) مدير مركز تكوين العلماء، (الخطر الشيعي أصبح حقيقة بتجليات كثيرة)، «السراج الإخباري»، (٢٠/٠٦/٢٠١٢)، على الرابط:
http://essirage.net/archive/index.php/news-and-reports/٨٤١٧-٢٠١٢-٠٦-٣٠-١٧-٣٦-٢٩.html

## ثالثًا: مداخل التشيع وآليات الانتشار:

**تتنوع مداخل التشيع بين الاجتماعي والسياسي والديني، وتتمثل أهمها فيما يلي:**

### ١ - الدور الإيراني:

**كما سبقت الإشارة في مقدمة الدراسة؛ فإن الدور الإيراني محوري في عملية نشر التشيع،** في شمال القارة وجنوبها، وهي تزاوج بين المصالح الاقتصادية ونشر التشيع، فكثيرًا ما تستغل طهران علاقاتها الدبلوماسية مع الدول الإفريقية والتعاون الاقتصادي لدعم الأنشطة التي تروّج التشيع، وكلما كان هناك تطور في العلاقات السياسية يشهد بالموازاة مع ذلك حركة كبيرة في التشيع، وكلما سمحت السلطات بالنشاط؛ فإن السفارات الإيرانية لا تخفي دورها في نشر التشيع بشكل علني، وغالبًا ما ترافق المساعدات الاقتصادية والخدماتية بمحاولات لنشر التشيع.

**إذ يُستغَل بذل المال الكافي لضمان تدفق (الدعوة) والاستثمار معًا جملة واحدة؛** لا سيما في نيجيريا وكينيا وجنوب إفريقيا والسنغال وغانا، الدول الواعدة ضمن دائرة الضوء الاستثماري العالمي الغارقة في الفساد أيضًا[(٢)].

**فقد شهد الحضور الإيراني تصاعدًا كبيرًا في غرب إفريقيا؛** خصوصًا خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين؛ من خلال المنظمات والهيئات الأهلية، والمراكز الثقافية، والمشاريع الاقتصادية، والعمل الدبلوماسي[(٣)]، مستفيدة من كون إقليم غرب إفريقيا يمثل أكبر كتلة إسلامية في القارة الإفريقية، لذلك يمثل الإقليم بيئة خصبة لتلقي مبادئ الثورة التي تعمل

(٢) أمير سعيد، (إيران المتجهة إلى إفريقيا تبشيرًا واستثمارًا)، مجلة «البيان»، العدد (٢٨١)، بتاريخ (١٥/١٢/٢٠١٠)، على الرابط:
http://www.albayan.co.uk/Mobile/MGZarticle٢.aspx?ID=٥١٦

(٣) عبد الله ولد محمد بمب، (الحضور الإيراني في غرب إفريقيا: استثمار.. أسواق.. تشيع؟)، موقع «الميادين»، (٥/١١/٢٠١١١)، على الرابط:
http://meyadin.net/٩٨٧٦٥٤٥٦٧٨/٤٣٣٣-٢٠١٢-١١-٠٥-٢٠-٥١-١٦.html

إيران على نشرها في أرجاء العالم[1].

**لا يختلف الأمر كثيرًا في شمال إفريقيا؛** حيث تولي إيران المنطقة أهمية كبيرة، وقد سعت إلى تعزيز علاقاتها مع دول المنطقة؛ خاصة المغاربية منها، بعد تأزم علاقاتها مع مصر عقب الموقف الإيراني المؤيد لاغتيال الرئيس أنور السادات، وهو ما تكرر مع الجزائر في بداية تسعينيات القرن الماضي عقب اغتيال الرئيس محمد بو ضياف.

**وفي سياق المحاور الإقليمية؛** فإن العلاقة مع مصر بقيت مضطربة نتيجة التوافق المصري السعودي؛ لذلك وجدت في الموقف الجزائري نوعًا من التوازن، والتأثير الأهم كان في السودان التي وصل فيها الإسلاميون للسلطة بعمل ثوري هو الأكثر نجاحًا من بين المحاولات العربية التي سعت لمحاكاة النموذج الإيراني في تلك المرحلة، وقد أثمر الاحتفاء السوداني بإيران تمددًا شيعيًّا هو الأكبر في الدول العربية السنية، وفي كل المراحل لم تفوّت إيران أي فرصة تتاح لنشر التشيع استثمارًا لعلاقاتها مع هذه الدول، ودور السفارات الإيرانية -وبشكل خاص المراكز الثقافية التابعة لها- جلي في كل هذه الدول، إضافة إلى المنح الدراسية للدراسة في حوزاتها.

### ٢- دور المهاجرين:

**لعب المهاجرون الشيعة بشكل عام دورًا مهمًّا في نشر التشيع في كل إفريقيا،** غير أنه أكثر وضوحًا وديمومةً في جنوبها على عكس شمالها؛ خاصة الجالية اللبنانية التي تقوم بدور كبير في عملية التبليغ الشيعي في البلاد الإفريقية[2]، وذلك لتواجدهم بأعداد كبيرة؛ إذ تشير بعض الإحصائيات إلى أن (٣٥٠) ألف لبناني على الأقل منتشرون عبر القارة، وتمثل ساحل العاج والسنغال ونيجيريا أهم مراكز الجاليات اللبنانية المقيمة في إفريقيا، بجانب آلاف اللبنانيين الآخرين يقيمون تقريبا في كل الدول الإفريقية[3].

**ورغم تواجدهم في القارة لفترة طويلة إذ تعود إلى بدايات القرن الماضي؛** غير أن اهتمامهم بالأنشطة الدعوية اقتصر على الجالية نفسها للمحافظة على هويتها؛ لتشهد نقلة بعد الزيارة التي قام بها موسى الصدر في سنة (١٩٦٤) لعدد من الدول الأفريقية، حاملًا مشروع المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان[4]، ثم قفزة تالية مع انتصار الثورة الإيرانية في (١٩٧٩).

**وممّا مكنهم من المساهمة الفعالة في نشر التشيع:** امتلاكهم للثروات؛ نظرًا لاشتغالهم في التجارة، حيث يمارس معظم اللبنانيين المتوزعين عبر القارة أنشطة تجارية، ولذلك تعيش الجاليات اللبنانية حياة يسودها الرخاء هناك، وهي أساسية ومنافسة لكثير من الجاليات الأخرى، إذ تبلغ قيمة الاستثمارات اللبنانية في إفريقيا نحو (٤٥) مليار دولار، تسبقها الصين بـ (٧٥) مليار دولار أميركي[5].

**واستقرت أكبر جالية من اللبنانيين** -والتي يتراوح عدد أفرادها من ستين ألفًا إلى مائة وعشرين ألفًا- في ساحل العاج منذ أواخر الثمانينيات، وهناك جالية أخرى يبلغ عدد أفرادها أربعين ألفًا يعيشون في السنغال، والكثيرون منهم يشغلون متاجر البيع بالتجزئة، في حين يعمل آخرون في تجارة الماس[6].

---

(١) أميرة محمد عبد الحليم، (غرب أفريقيا ساحة للمواجهة بين إيران وإسرائيل).

(٢) لجنة تقصي الحقائق بمجلس أمناء اتحاد العلماء المسلمين، (التشيع في إفريقيا)، بيروت، «مركز نماء للبحوث والدراسات»، (ط١، ٢٠١١)، (ص٦٥).

(٣) محمد خليفة صديق، (الجالية اللبنانية الشيعية في إفريقيا .. الواقع والدور)، مجلة «الراصد»، العدد (١٥٢)، (٢٠١٦/٢/٩)، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٧٢٦٩

(٤) أميرة محمد عبد الحليم، (غرب أفريقيا ساحة لمواجهة بين إيران وإسرائيل).

(٥) محمد خليفة صديق، (الجالية اللبنانية الشيعية في إفريقيا .. الواقع والدور)، مجلة «الراصد»، العدد (١٥٢)، (٢٠١٦/٢/٩).

(٦) أميرة محمد عبد الحليم، أحمدي نجاد في غرب أفريقيا، الأهرام الرقمي، (٢/١/ ٢٠١١)، على الرابط:
http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=٤٨٥٨٦٢&eid=١٢٢

**وهم يتحكمون بحوالي (٦٠%)** من القطاعات الاقتصادية الحيوية، فيمتلكون أربعة آلاف مؤسسة، من بينها (١٥٠٠) مؤسسة صناعية يعمل فيها نحو (١٥٠) ألف مواطن من أهل البلاد.

**وهم يسيطرون على:** (٧٠%) من تجارة الجملة، و(٥٠%) من تجارة التقسيط، و(٨٠%) من شركات جمع القهوة والكاكاو وتصديرها، و(١٧%) من سيارات الأجرة، الأمر الذي حرصت قيادات البلاد المتوالية على التنويه والإشادة به[1].

**وفي كينيا تقيم جالية إسلامية كبيرة،** تضم حوالي نصف مليون من أبناء الطائفة الشيعية، هؤلاء يشكلون موقعًا هامًّا ومهمًّا لنشر الإسلام الشيعي بصيغته الإيرانية الراديكالية.

**وفي شرق إفريقيا** تعود أصول الشيعة إلى منطقة الخليج والهند، وقد لعبت الهجرات المتتالية خلال القرون السابقة دورًا في انتشار التشيع بهذه المنطقة؛ كما في زنجبار، والشيرازيين في تنزانيا.

**أما في شمال إفريقيا؛** فقد كان دورهم محدودًا؛ لأعدادهم القليلة التي لا تتجاوز بعض المئات والعشرات في هذه الدول، وحضورهم حديثُ عهد؛ حيث يعود لما بعد الاستقلال، خاصة في الجزائر التي استقدمتهم في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي للتدريس في مدارسها وثانوياتها وجامعاتها، ونشاطهم كان محتشمًا في بداياته ثم توسع مع الثورة الإيرانية، لكنه بقي محدودًا.

**وفي العقود الأخيرة** كانت هناك محاولات لهم للنشاط والتي عرفت بقضية رجل الأعمال صلاح عز الدين الذي كانت له أنشطة تجارية، وسعى لتأسيس مدرسة خاصة.

**وفي المغرب** كانت هناك أنشطة مماثلة تم احتواؤها على غرار المدرسة العراقية التي تم غلقها بتهمة نشر التشيع، وفي موريتانيا جاء تجار لبنانيون شيعة من السنغال وفتحوا مطاعم في وسط العاصمة قرب «تجمع سيتي سنتر»، وهم متهمون بمحاولة التغلغل في المجتمع، كما حصلت بعض الزيجات بين موريتانيات وإيرانيين[2].

**والاستثناء في مصر؛** حيث كان المهاجرون الشيعة الرافد الأساسي للتشيع لوجود الكثير من العناصر العربية الشيعية فيها، والذي قام بدور فعال في دعم الدعوة الشيعية، فقد كانت مصر مكتظة بالشيعة العراقيين الفارين من وجه صدام، والذين أقاموا في مصر لغرض الدراسة، كما كان بها الكثير -أيضًا- من شيعة البحرين والسعودية الذين يقيمون لنفس الغرض، وقد أسهمت هذه العناصر في القيام بدور دفاعي فعال ضد الهجمات الإعلامية التي شنت على الشيعة في تلك الفترة[3].

**وشهد عددهم تزايدًا كبيرًا في مصر** عقب الاحتلال الأمريكي للعراق في (٢٠٠٣)، ومكمن الخطر في تجمعهم بمناطق على غرار مدينة (٦ أكتوبر).

### ٣- دور الحركة الإسلامية:

**سهلت الحركات الإسلامية في المنطقتين عملية التشيع؛** من خلال ترويجها للثورة الإيرانية واحتفائها بالخميني ثم حسن نصر الله، ودفاعها عن سياسات إيران في المنطقة، وبذلك كانت بيئة حاضنة للتشيع السياسي الذي تطور لاحقًا إلى تشيع عقدي، غير أن الفارق بين الحالتين: أن انتقال المنتمين للحركة الإسلامية إلى العقيدة الشيعية شمل في الشمال أفرادًا من الدرجة الثالثة أو الرابعة؛ وحتى متعاطفين معها، لكنه في الجنوب شمل قادة بارزين؛ خاصة في نيجيريا التي تأثرت الحركة الإسلامية فيها بالثورة

(١) ميرفت عوف، (ساحل العاج منبع تمويل لحزب الله طوعًا وكراهيةً)، مجلة «الراصد»، (٢٠١٤/٦/٢٣)، على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٦٧٠٥

(٢) مدير مركز تكوين العلماء، (الخطر الشيعي أصبح حقيقة بتجليات كثيرة)، «السراج الإخباري»، (٢٠١٢/٠٦/٢٠).

(٣) لجنة تقصي الحقائق بمجلس أمناء اتحاد العلماء المسلمين، (التشيع في إفريقيا)، بيروت، «مركز نماء للبحوث والدراسات»، (ط١، ٢٠١١)، (ص٦٣٢).

الإيرانية والاحتفاء بها؛ ليتشيع البعض منها تبعا لذلك[1]، وشهدت ما يشبه الانتقال الجماعي نتيجة الدور الذي لعبه إبراهيم الزكزكي؛ الذي كان قياديًّا بارزًا فيها.

### ٤ - الجماعات الدينية المتطرفة:

**استثمرت إيران -أيضًا- في جماعات التطرف التي نشأت في المنطقة لتسويق التشيع،** وقد حصل هذا في وقت مبكر؛ خلال تسعينيات القرن الماضي في الجزائر ومصر، وازداد في السنوات الأخيرة؛ خاصة بعد أحداث (١١ سبتمبر ٢٠٠١) ثم احتلال العراق، وصولًا إلى (٢٠١١) مع بروز تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا، ولم تفوت فرصة صعود التنظيمات المتطرفة في دول الجنوب على غرار تنظيم بوكو حرام؛ إذ باتت طهران تستفيد من ممارسات وسلوكيات الجماعات المتشددة في مالي ونيجيريا -والمرفوضة شعبيًّا- من أجل تسويق الفكر الشيعي[2].

### ٥ - التعاون مع دول الجوار في نشر التشيع:

**لا يقتصر النشاط التبشيري الشيعي على كل دولة بشكل مستقل،** وإنما يوجد تنسيق عابر للحدود؛ حيث يتفاعل المتشيعون مع أقرانهم في دول الجوار، وهذا النوع من النشاط متواجد بشكل كبير في دول جنوب الصحراء.

**ومن الأمثلة على ذلك:** أنه يتم ابتعاث الطلاب من غينيا بيساو إلى مدارس شيعية في السنغال؛ حيث يزاولون النشاط التشييعي بعد عودتهم من الخارج بعد أن تمكنوا من الحصول على التدريبات الكاملة في الدورات والمناهج الشيعية، **فمثلًا:** في (٢٠٠٧) قاموا بتنظيم دورة تدريبية في العاصمة بيساو دامت أسبوعين قام بها الممثل عنهم القادم من غينيا الكنكاري، وحاولوا

(١) لجنة تقصي الحقائق بمجلس أمناء اتحاد العلماء المسلمين، (التشيع في إفريقيا)، بيروت، «مركز نماء للبحوث والدراسات»، (ط١، ٢٠١١)، (ص٢٢٣).

(٢) زهير فهد الحارثي، (إيران في أفريقيا.. ولكن ماذا عن العرب؟)، جريدة «الرياض»، (٥/ ٢/ ٢٠١٣)، على الرابط: http://www.alriyadh.com/٨٠٧٧٤٦

في الوقت نفسه شراء قطعة أرض لبناء مؤسسات عليها[3].

**ويظهر هذا النشاط -أيضًا- في المؤسسات الشيعية ذات الطابع الإقليمي؛** على غرار اتحاد غرب إفريقيا لأهل البيت، ورابطة عموم إفريقيا لآل البيت، وهي منظمة شيعية غير حكومية أسست في العاصمة السنغالية داكار، التي حددها المؤسسون مقرًّا للرابطة.

**وفي دول شمال إفريقيا تكاد تنعدم الظاهرة؛** إذ لا يوجد تعاون بين الشيعة المغاربة؛ خاصة بين الجزائر والمملكة المغربية، بسبب الخلافات السياسية بين البلدين، بينما سجلت محاولات مختلفة مع المتشيعين في تونس، وكانت هناك مطالب للتعاون في هذا الاتجاه؛ خاصة مع فرص التواصل التي تتاح في الحوزات الشيعية ومواقع التواصل الاجتماعي.

### ٦ - الفرق الدينية المنافسة:

**دور الجماعات الصوفية والفرق المعادية ظاهر بشكل جلي وقوي** في الجنوب على عكس شمال إفريقيا، إذ يعتبر التصوف أحد السمات الدينية في المجتمعات الإفريقية؛ حيث تنتشر هذه الطرق في كل دولها، والكثير منها موجودة في الشمال، ولها امتدادات في الجنوب، وقد شكلت في النطاقين أحد مداخل التشيع.

**وفي إثيوبيا كان لفرقة الأحباش دور كبير في نشر التشيع؛** من خلال الحد أولًا، وإعاقة انتشار الإصلاح السني تحت شعار: محاربة الوهابية.

### رابعًا: المواقف الرسمية في دول الشمال والجنوب

**تتباين ردود الفعل الرسمية في الدول الإفريقية بشكل عام تجاه حركة التشيع؛** فهناك حكومات لا تعارض الأنشطة الشيعية التبشيرية، بل على العكس ترحب بها، وتسمح لها بالنشاط

(٣) لجنة تقصي الحقائق بمجلس أمناء اتحاد العلماء المسلمين، (ص٣٤١).

القانوني؛ كِنين، وبوركينا فاسو، وسيراليون، وغانا، وغينيا كوناكري، وليبيريا، ومالي، وساحل العاج، وغينيا بيساو، والسنغال، والكونغو، وأوغندا، وكينيا، وتنزانيا -جزئيًّا-، وجزر القمر، وإثيوبيا.

**بينما ترفض دول أخرى ذلك رفضًا قاطعًا**، مثل: غامبيا، والنيجر، وتشاد، والغابون -جزئيًّا-، والكاميرون.

**في حين نجد دولًا كانت تسمح بذلك ثم عارضته، وتوترت العلاقة بينها وبين إيران**؛ على غرار نيجيريا في الجنوب، والسودان في الشمال.

**وهناك من فعلته ثم عادت عن مواقفها**؛ كالسنغال، حيث إغلاق نظام عبده ضيوف السفارة الإيرانية في داكار عام (١٩٨٤)، لكن النظام السياسي الحالي لم يعارض التمدد الثقافي لإيران، وذكر وزير خارجية السنغال شيخ تيدان جاديو Sheikh Tidiane Gadio في عام (٢٠٠٤) أنه يريد: «الحصول على الخبرة الإيرانية في إنشاء المدارس الدينية، وتحفيظ القرآن»[1].

**والتذبذب في المواقف يتكرر في** الجزائر والمغرب ومصر.

**بينما تسمح تونس بنشاطهم**؛ سواء في عهد النظام السابق أو النظام الحالي، كون المنظومة القانونية هناك تعتبر حرية المعتقد شأنًا خاصًّا لا تتدخل فيه السلطة السياسية.

## خامسًا: الانعكاسات المجتمعية والسياسية للمتشيعين:

**تتعدد آثار ظاهرة التشيع؛ سواء في سياقها الاجتماعي أو السياسي**، وجلّها ينذر بتفكك تلك المجتمعات، وعدم استقرار الدول نتيجة للتصدعات التي يحدثها هؤلاء في مجتمعاتهم على المدى الوسيط أو البعيد، وهذا ما يتضح عند المقارنة بين درجة انتشار الظاهرة من بلد إلى آخر.

**فأهم مظاهر التغلغل الشيعي يكمن في درجة الصراع والصدام**؛ سواء الأفقي منه (المجتمعي - المجتمعي)، أو العمودي (المجتمعي - السلطة السياسية)، ففي الحالة الأولى هو أكثر حضورًا في إفريقيا جنوب الصحراء، وفي شمال إفريقيا ما زال ضيقًا ومتحكمًا فيه، والحوادث في هذا الإطار فردية ومحدودة، وأشهرها: ما حصل في مصر للمتشيع حسن شحاته الذي سجل في (٢٠١٣).

**أما في جنوب الصحراء**؛ فقد تطور إلى صراع مع السلطة السياسية، وأهم الحالات وقعت في نيجيريا سنة (٢٠١٥) بين الحركة الإسلامية الشيعية التي يقودها إبراهيم الزكزكي، والجيش النيجيري قتل فيها زهاء (٣٠٠) متشيع، فجماعة الزكزكي بمثابة كتلة سياسية خطيرة، تعتمد على سياسة حزب الله اللبناني في تجنيد أعضائها، وترمي إلى خلق قواعد محلية موالية لإيران؛ باعتبارها المرجعية الوحيدة، وتزعم مواجهة المصالح الغربية في إفريقيا، ومواجهة الإمبريالية والاستكبار الغربي![2].

**ومن الانعكاسات الاجتماعية -أيضًا-**: السعي لإنتاج مرجعيات شيعية محلية؛ فقد أضحت الحوزات الشيعية قبلة للكثير من الطلبة الأفارقة الذين يتم ابتعاثهم إلى هناك بمنح إيرانية رسمية للدراسة فيها، وهذه الظاهرة تشمل القارة كلها، وفي شمالها وجنوبها لعب هؤلاء دورًا محوريًّا في نشر التشيع، وهناك محاولات جادة لتأسيس مرجعيات شيعية محلية، وقد استطاعت تحقيق قدر من النتائج لعل أبرزها: حالة إبراهيم الزكزكي في نيجيريا، وفي توغو: عبد المؤمن -من قبيلة كسنتو-، ومحمد دار الحكمة في غينيا، ومحمود عبد الله إبراهيم في جزر القمر، وعبد الرحمن ادن في جيبوتي.

**وفي دول شمال إفريقيا**: هناك محمد التيجاني السماوي في تونس، وفي الجزائر: فضيل الجزائري، وفي المغرب: إدريس هاني، ومعتصم سيد أحمد من السودان.

---

(١) أميرة محمد عبد الحليم، (أحمدي نجاد في غرب أفريقيا).

(٢) محمد الأمين سوادغو، (انتشار التشيع وتأثيره في النسيج الاجتماعي في غرب أفريقيا)، مجلة «الراصد»، (٩/٢/٢٠١٦)، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٧٢٧١

كما أن نشاط الدعاة الشيعية اللبنانيين والإيرانيين وغيرهم قوي ومعلن في الكثير من الدول الإفريقية، بينما يكاد ينعدم في دول شمال إفريقيا.

**الخلاصة:**

**خلصت الدراسة إلى جملة النتائج التالية:**

**١ - عدديًا لا توجد إحصائيات دقيقة للتشيع**، ولكن بشكل عام تبدو أعدادهم في إفريقيا جنوب الصحراء أكثر من شمالها بكثير، دون إغفال الفوارق في عدد السكان بكل تأكيد.

**٢ - درجة المأسسة تعزز النتيجة أعلاه؛** ذلك أن جلّ دول شمال إفريقيا لا توجد فيها مؤسسات شيعية معترف بها، والبعض الآخر -على ندرته- ينشط بطريقة سرية تحت عناوين مختلفة لا تعكس هويته، كما يقتصر على الجمعيات، وحتى الحسينيات لا تعدو أن تكون شققًا تستأجر لهذا الغرض وتغير في كل مناسبة شيعية.

**بينما في دول الجنوب** فالمؤسسات بالعشرات في الكثير من الدول، وأقلها تقريبًا أكثر من دول الشمال، كما تتنوع من جمعيات ومدارس إلى معاهد وجامعات، ومساجد وحسينيات؛ فضلًا عن المؤسسات الخدماتية.

**٣ - المواقف الرسمية من التشيع كثيرة التقلب**، وهي مرهونة بالتغيرات السياسية، وتتراوح بين الاعتراف والترحيب أو السكوت الضمني، أو الرفض الضمني أو الرفض الصريح، ودول الشمال جلها إما ساكت أو رافض ضمنيًّا، وأحيانًا بشكل صريح، بينما الكثير من دول الجنوب تعترف بذلك النشاط وترحب به، وليس أدل على ذلك من المؤسسات الناشطة في مجال التشيع بشكل رسمي وعلني.

**ونادرة هي الدول** التي تحولت بشكل سريع في علاقاتها ورفضت التشيع كبعد في العلاقة مع إيران.

**٤ - الدور الإيراني ثابت في نشر التشيع في المنطقتين،** وهو حامي الشيعة والمتشيعين هناك، وكثيرًا ما تصدر تصريحات إيرانية تندد بأي تضييق عليهم؛ فضلًا عن النشاط التبشيري الذي تقوم به المراكز الثقافية التابعة لسفاراتها.

**٥ - لعبت الجالية الشيعية اللبنانية دورًا هامًّا جدًّا في نشر التشيع** في إفريقيا جنوب الصحراء على عكس شمالها، وذلك لثلاثة اعتبارات أساسية:

**أولها:** أنها تتواجد بنسب كبيرة تتجاوز عشرات الآلاف أحيانًا.

**وثانيًا:** أن وجودها قديم وليس جديدًا.

**وثالها:** أنها تسيطر على الأنشطة الاقتصادية والتجارية، وهي مدخل مهم يوفر المال الضروري لعملها الدعوي.

**٦ - ساهمت الحركات الإسلامية في الترويج للتشيع؛** من خلال تسويق الأطروحة الإيرانية، وانتقال بعض قادتها للتشيع أعطى زخمًا إضافيًّا له، كما أربك الجهود المكافِحة.

**٧ - استغلت إيران صعود الجماعات المتطرفة** في المجال السني لتشويه عقائد أهل السنة كلها، وطرح التشيع كبديل لها.

**٨ - تنسيق جهود نشر التشيع إقليميًّا** وحتى في إطار مؤسساتي في إفريقيا جنوب الصحراء أكثر من شمالها.

**٩ - تمكنت إيران من توظيف الطرق الصوفية في نشر التشيع،** في الفضائين الشمالي والجنوبي؛ من خلال مدخل آل البيت وحبهم من جهة، وفي سياق التنافس والصراع الصوفي السلفي من جهة أخرى.

**١٠ - هناك سعي دؤوب لإنتاج مرجعيات محلية في كل إفريقيا،** وهذا الدور موكول للحوزات الشيعية في قُم وغيرها؛ التي تعنى بتكوين طلبة أفارقة في مدارسها، وقد استطاعت تحقيق بعض الاختراقات في العديد من الدول؛ رغم عدم وجود مراجع بدرجة «آيات الله العظمى»، وهذا أمر مستبعد في المدى المتوسط على الأقل؛ حتى تضمن السيطرة المباشرة عليهم بوصفهم مجرد وكلاء للمراجع القابعة في قم أو النجف.

**١١- في دول إفريقيا جنوب الصحراء التي ارتقى فيها التشيع إلى مستوى الظاهرة** تجاوز الصراع المجال الاجتماعي إلى المجال السياسي كما حصل في نيجيريا مع جماعة الزكزكي، بينما في شمالها فإنه مازال محصورًا في سياقه المجتمعي على محدوديته، ولكن ذلك مؤشر على المدى الذي يمكن أن تصل إليه الحركات الشيعية كلما امتلكت قوة عددية أكبر.

**١٢- يمكن عزو ضعف انتشار التشيع في شمال إفريقيا إلى عامل اللغة** (كونها منطقة عربية)؛ إذا أن الكثير من الجهود في مواجهة التشيع باللغة العربية آتية من المشرق الذي يعيش هذا الصراع بشكل مباشر، كما أنه أعرف بالشيعة نتيجة التفاعل المستمر منذ عقود.

**وتلك الجهود كان لها صدى كبير جدًّا في شمال إفريقيا؛** وخاصة المغرب الإسلامي؛ حيث تتابع وسائل الإعلام المتخصصة في محاربة الشيعة والتشيع بمختلف أشكالها، ويتفاعل معها بشكل مباشر، على عكس شعوب جنوب الصحراء المتباينة لغويًّا، لذلك يتوجب الاهتمام أكثر بالدعاة الأفارقة، وتكوين متخصصين في هذا الباب، ودعم الجهود الإعلامية باللغات الإفريقية المحلية.

**١٣- في الإطار اللغوي -دائمًا- فإن انتماء دول شمال إفريقيا إلى الدائرة العربية** يجعلها أكثر اهتمامًا بالقضايا التي تثار في هذا الفضاء الجغرافي، لذلك كان للانتفاضات الشعبية التي اندلعت في المنطقة منذ (٢٠١١)؛ وخاصة الأزمة السورية وما تبعها من صراع طائفي كشف صورة مغايرة عن إيران وحزب الله والشيعة بشكل عام، مما ساهم في تراجع حركة التشيع مقارنة بالمسار الذي كانت عليه سابقًا.

**ورغم اهتمام المسلمين الأفارقة بالقضايا العربية** كونهم جزءًا من الأمة الإسلامية إلا أن العامل اللغوي يبقى حاجزًا أمام التأثير القوي الذي يمكن أن تثيره أحداث على هذا الشكل.

**١٤- النشاط التبشيري الشيعي متكامل مع بعضه البعض،** ولا يعاني من صراعات بينية؛ سواء كدول أو مرجعيات، على عكس التبشير السني الذي مازال خاضعًا للرؤى الوطنية، ولا يوجد تنسيق للجهود، وأحيانًا تكون متضاربة؛ سواء بين الدول أو الجماعات.

## التصوف والتشيع في السنغال.. من يحمِل منْ؟

د. محمد خليفة صديق- كاتب سوداني

خاص بـ «الراصد».

### مقدمة

**بدأ دخول الإسلام إلى السِّنغالِ منذ بواكير دخول الإسلام لقارة إفريقيا،** وقد انتشر في تلك البقاع بسهولة ويسر، وتقبّله السكان بسلاسة؛ حتى بلغت نسبة المسلمين في هذا البلد (٩٦%) من إجمالي عدد السكان البالغ (١٣.٧) مليون نسمة، وفقًا لإحصاء عام (٢٠١٣م)، والنسبة الباقية من السكان تتوزع بين نصراني وملحد ووثني.

**وينشط في السنغال عدد كبير من الجماعات الإسلامية، وهي:** الصوفية -بطوائفهم المختلفة-، وجماعة عباد الرحمن، والجماعة السلفية، ولكن أكثرية مسلمي السنغال من أتباع الصوفية من أصحاب الطرق؛ كالقادرية، والتيجانية، والمريدية، والشاذلية وغيرها، واشتهر من مشايخهم الشيخ أحمد بمبا، والحاج عمر الفوتي تال، والحاج مالك سي، وغيرهم، كما أن للشيعة الاثنى عشرية وجودا في السنغال.

**يلاحظ أن الخطاب الدَّعويّ الصوفي** لا يهتم بتعليم إنسان السنغال تعاليم الإسلام من منبعه الصافي، ولكن قصارى همِّهِ: أن يربطَهُ بفُلانٍ، أو علاَّنٍ من المشايخ، ويربِّي فيهم التقديس للشيوخ، وهناك أنماطٌ دعوية للصوفية تتمثل في إقامةِ الموالد، وهذه لا حصرَ لها في السنغالِ، وتُطلق عليها باللغة الولوفية: (غَامُّو)، و(ماغَّالْ) بمعنى: التعظيم؛ فهم يقولون: نحنُ نعظِّمُ الشيخَ، أو الرسول من خلالِ إقامةِ الموالد المذكورة، ويتذاكرون فيها نُتَفًا من أحداثِ

السيرة الشريفة، أو السيرة الذاتية لشيخِهم، علاوةً على رفعِ الأصواتِ بالقصائدِ السَّائدةِ عندَ الطَّريقةِ المُعينة.

**وقد سادَ مثل هذا الصنف؛** لدرجةِ أن جميع الطرائق الصوفية لديها مناسبات عديدة دورية، يتم الإعلانُ عنها في الراديو، والتلفزيون، والصحف، والمجلات، ووسائل الاتصال المتاحة، كما لا يغيبُ دورُ المُنادِي في الأسواقِ، والتجمعات العامة؛ يجهرُ بصوتِهِ، أو من خلالِ مكبرات الصوت، مُشهِرًا بالمناسباتِ، والأعيادِ المذكورة لدى الطرائق الصوفية المختلفة، وهناك إعلاميون متخصصون في إعلانِ هذه المناسباتِ، ولهم أسلوبُهم المعروف في استمالةِ القلوبِ.

**كما ساهمت ثقافة خدمة شيوخ التصوف من قبل الأتباع** في السنغال في توسيع إقطاع مشايخ الصوفية الزراعي، مما حولهم إلى مستثمرين كبار بفضل الأموال الطائلة التي يجنونها من خلال عمل الأتباع، وما زال بعض مشايخ الصوفية يطلبون من أتباعهم زراعة وحصاد حقولهم، فيهرول هؤلاء المساكين إلى المزارع طلبًا للثواب! أو ثناء الشيخ عليهم، وقد ورد في كتاب «إرواء النديم من عذب حب الخديم سيرة الشيخ أحمدو بمب»، لمؤلفه الشيخ محمد الأمين جوب الدغاني: أن الشيخ بمب كان يحث المريدين على العمل تسويغًا لاستغلال طاقاتهم في العمل؛ حتى يتفرغ الشيوخ للعلم.

**لكن ذلك تغيَّر كثيرًا في السنوات الأخيرة،** ويلاحظ الآن في المؤسسة المريدية أن بعض المشايخ يساعدون أتباعهم بالمال، ويساعدونهم على السفر إلى أوروبا أو أمريكا؛ بعد توفير جوازات لهم من الحكومة، أو تأشيرات من السفارات الغربية؛ لِما يتمتعون به من النفوذ لدى رجالات الدولة، ولدى بعض أعضاء السلك الدبلوماسي الغربي في العاصمة داكار.

## الصوفية والدور السياسي في السنغال:

**أما عن الدور السياسي للتصوف** فيلاحظ أن السياسيين السنغاليين يبحثون عن دعم مشايخ وأتباع الصوفية لهم، حيث يشكل الصوفية أكثر من (٩٠%) من إجمالي سكان السنغال من المسلمين، مما يؤكد على الأثر السياسي للطرق الصوفية، وذلك منذ استقلال السنغال في عام (١٩٦٠م).

**وتجمع الطرق الصوفية في السنغال** بين الولاء الروحي والانتماء السياسي، وهي ثنائية تجعلها قطبًا وازنًا وسندًا لا غنى عنه للأتباع وللدولة على حد سواء، وفي هذا السياق تمثل الطريقة التيجانية ما نسبته (٥١%) من السكان فيما يبلغ عدد أتباع الطريقة المريدية (٣.٥) ملايين نسمة، ما يجعلهما قبلة لا يمكن للسياسيين تجاوزها إذا أرادوا الظفر بأصوات الأتباع.

**وبالرغم من علمانية الدولة -وفقًا للدستور-** فإن دوائر القرار السياسي تعمل على عدم إغضاب المؤسسة الدينية في السنغال، ممثلة في الطرق الصوفية وزعمائها الروحيين؛ لضمان أصوات الناخبين، والذين يحصلون في مقابل ذلك على الكثير من الامتيازات، مثل: الحماية الاجتماعية والصحية، والتكفل بحل كافة مشاكلهم، وتأمين الدعم لهم في مجال التوظيف الحكومي والمناصب الانتخابية؛ بفضل ما يتمتع به قادة تلك الطرق من نفوذ وتأثير روحي عريق.

**كما تعتبر طاعة الأتباع لمشايخهم واجبًا دينيًّا في سياق «طاعة ولي الأمر»،** ما يجعل لهذا الأمر تأثيرًا على الساحة السياسية، ولعل هذا ما دفع معظم السياسيين الطامحين لرئاسة الدولة إلى إعلان انتمائهم إلى الطائفة المريدية، ولكن حاليًّا يمكن القول: إن تأثير المال السياسي والحضور الروحي في الحياة السياسية قد تراجع كثيرًا خلال العقدين المنصرمين في السنغال، بفضل تزايد الوعي، وانتشار الحركات المدنية، وظهور مجتمع مدني ناشط وحاضر بفعالية كبيرة في المشهد السياسي، لكن التأثير المعنوي للزوايا الصوفية ما زال متجذرًا بقوة في هذا البلد.

**وأغلب أولئك المشايخ اليوم أقرب لمعسكر حزب الرئيس السابق** عبد الله واد منها للرئيس الحالي ماكي صال، وقد أعلن أغلب مشايخ الطرق الصوفية دعمهم لنجل واد (كريم واد)

في الانتخابات الرئاسية المزمعة في (٢٠١٩م).

**ورغم عمق الوجود الصوفي في التربة السنغالية؛** يرى بعض الباحثين أن هناك تحديات تواجه الصوفية هناك، منها: المثقفين الغربيين الذين تركوا جميع ما عرفوه من المناهج، ودخلوا بثقافتهم الغربية في الحياة الروحية؛ مما شكل تهديدًا للفكر الصوفي، بجانب تحدي توارث المشيخة؛ حيث يتولى ابن الشيخ المشيخة بعد أبيه بغض النظر عن مؤهلات هذا الابن.

**ومن أبرز المشكلات كذلك:** مشكلة الجهل، وضعف المستوى التعليمي لدى أتباع الطرق الصوفية.

## التصوف السنغالي والتشيع.. أي علاقة؟

**البداية الحقيقية لظهور الشيعة الإثني عشرية في السنغال** كانت في أواسط عام (١٩٦٩م)، بدخول اللبناني عبد المنعم الزين؛ والذي جاء خصيصًا لنشر مذهب الرافضة وسط الشباب السنغالي، وقد صرح بهدف مجيئه السنغال فقال: «ومما ادخرته ليوم الجزاء: ما منّ به الله -تعالى- عليّ أوائل عملي من اقتناع بعض الشباب من أبناء السنغال بطريقة أهل البيت عليهم السلام، فأعلنوا ولاءهم للنبي وآله، وانخرطوا في مدارسنا في السنغال ولبنان وجامعة قم المقدسة، ينهلون منها علوم أهل البيت حتى بلغ عددٌ منهم رتبة عالية في العلم، ثم رجعوا إلى أهليهم وقراهم، يبثونهم ما عرفوه من عقائد وفقه والتفسير للقرآن الكريم والسنة الشريفة، وغير ذلك من أنواع المعارف والعلوم»، وفعلًا استطاع الزين تكوين دعاة من الشباب، وأرسل وفودًا لتكوينهم في إيران.

**يستعمل الرافضة في محاولات تشييعهم للسنغاليين عددًا من الوسائل والخطط،** منها: سعى زعيمهم الزين لبناء علاقات قوية ووطيدة مع الزعماء الصوفيين في السنغال باستعمال التقية والنفاق، ولكون عقيدة الشيعة قريبة من عقيدة التصوف سيما في قضايا كالتوسل، وادعاء علم الغيب، والعصمة بالمخلوقين، وغيرها؛ فقد اعترف جمع غفير من الصوفية بمذهبه الرافضي، واتفق معهم على إنشاء مرجعية لطائفة أهل البيت النبوي في السنغال، بتأسيس خلافة عامة لهم، تكون جارية على الأعراف المتبعة في هذا الشأن لدى سائر الطوائف.

**وقد استغل الزين عقيدة التقية عنده أمام شيوخ الصوفية** حتى نُصِّب رسميًّا «الخليفة العام لطائفة أهل البيت» في أوراق وقّع عليها وزير الداخلية السنغالي السابق عثمان غوم.

**ومن تقية ومكر وخداع ونفاق هذا الرجل:** أنه يزور شيوخ الصوفية متقمصًا ومدعيًا حب أهل البيت، وفي واقع حاله أنه من ألد أعداء الصحابة الكرام وعلى رأسهم: أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعائشة رضي الله عنهم، فهو يتعبد الله بسبّهم!

**وقد تواصلت إيران بشكل رسمي وغير رسمي مع العديد من الطرق الصوفية في السنغال؛** حيث دعمت بعض هذه الطرق بالمال، وبإنشاء بعض المؤسسات التعليمية، كما أنشأت مؤسسة (والفجر)، ومؤسسة (مزدهر)، و(جامعة المصطفى العالمية)، وهي جامعة لها (١٢) فرعًا تنتشر في أنحاء أفريقيا، وتمارس أدورًا اجتماعية لا تعليمية فقط، حيث تنفق إيران على الملتحقين بها والذين يزورن مدينة قم الإيرانية.

**ويعدّ فرع جامعة المصطفى الإيرانية في داكار** من أبرز المؤسسات الشيعية ذات الصلة بشيوخ الصوفية ومريديهم، والتي تتضمن مناهجها تدريس الثقافة والتاريخ الإيرانيين والعلوم الإسلامية بالإضافة للّغة الفارسية، ويحصل الطلاب على طعام مجاني ومساعدات مالية.

**والجامعة هي مركز شيعي في بلد مذهبه الشائع هو الصوفية،** وينكر مدير فرع دكار من جامعة المصطفى الإيرانية أي صلة للجامعة بأجهزة المخابرات أو السياسة الإيرانية، وقال «نحن جامعة خاصة... مهمتنا الوحيدة هي: التدريس، ولا شيء آخر»، مضيفًا أن المرشد الأعلى خامنئي مجرد راعٍ للجامعة، كما يزعم أن اعتناق المذهب الشيعي ليس شرطًا إلزاميًّا للدراسة!

**وقد كشفت مصادر أنه في موازنة إيران لعام (٢٠١٦م)** حصلت الجامعة على (٢٣٩٠) مليار ريال (٧٤ مليون دولار)،

لكن مسؤولًا ذكر أن الجامعة تحصل على مزيد من التمويل من مكتب المرشد الأعلى وشخصيات أخرى تحت قيادته.

**ويصرح كثير من قادة الصوفية بالسنغال** بأنه ليس لديهم مشكلات مع الشيعة، ومن ذلك: قول محمد بشير أنغوم -الداعية والمقدم في الطريقة التيجانية بالسنغال، وعضو مركز زاوية الشيخ الحاج مالك سه للدراسات والبحوث بـ «تواون» في السنغال، وعضو هيئة التدريس في كلية الدعوة الإسلامية فرع السنغال-: «ليست لدينا مشكلة مع الشيعة».

**ورد أنغوم على الحديث الذي يدور** حول محاولات لنشر المذهب الشيعي في الدول السنية، وأن الصوفية في السنغال يمكن أن تلعب دور القنطرة للتشيع في البلاد؛ حيث قال: «لدينا عدد قليل من الشيعة، والعديد منهم لبنانيون، ولكن لا توجد لدينا مشاكل معهم، فإذا كان الشيعة يدّعون محبة الرسول ﷺ ستجد في مؤلفات الشيخ الصوفي الحاج عبد العزيز ما لا يصل إليه الشيعة من محبة رسول الله ومحبة أحبابه.

**والشيعة يحضرون المولد النبوي الذي تقيمه الطريقة في تواون**، والذي يحضره كذلك (السلفيون) وسفراء الدول، ووجود قواسم مشتركة بيننا وبين الشيعة لا يعني بالضرورة: أن الصوفية يمكن أن تكون مدخلًا للتشيع في التراب السنغالي».

## خاتمة

**في كثير من الأحيان ساهم النفوذ الإيراني الرافضي في زعزعة الاستقرار في السنغال**؛ ففي عام (٢٠١٠) تم اعتراض شحنة أسلحة إيرانية في ميناء لاجوس النيجيري، اشتبهت السنغال في أنها كانت في طريقها لمتمردين في منطقة كاسامناس الجنوبية، وقطعت السنغال علاقاتها لفترة قصيرة مع طهران بسبب ذلك.

**لكن -رغم ذلك- تحتفظ الصوفية السنغالية** بعلاقاتها المتميزة مع الشيعة في البلاد، لكنهم في المقابل يقولون: إن السلفية هي المذهب الأكثر إثارة للقلق؛ فعلى الرغم من كونها -أي: السلفية- بمنأى إلى حد بعيد عن التدخل السياسي فإنها مرتبطة بفكر جهادي لم تشهده السنغال حتى الآن -حسب زعمهم!-.

**وقال أحمد خليفة نياس** -وهو ابن إمام صوفي راحل واسع النفوذ، وأحد أشد منتقدي ما يصفه الصوفية بـ «الهيمنة الدينية لدول الخليج العربية»- في قصره بدكار: «السلفيون في السنغال هم أبناء عمومة من يجاهدون في مالي.. يعتبرون أنفسهم جند الله».

**ويشير بعض الباحثين الذين كتبوا عن الإسلام ووجوده في السنغال**: أن الدعوة الإسلامية هناك ظلَّتْ تُعاني مِن بعضِ الصعوباتِ في نشرِ الإسلامِ الصحيح وتوسع التصوف والتشيع في البلاد، وقد تضافرت مجموعة عوامل لترسيخ تلكَ الصورِ النمطية عن الإسلام، والتي أسهمت بقوة في إعاقةِ نشرِ الإسلامِ الصحيح في السنغال، وبالتالي انزلاق كثير من السنغاليين -خاصة الصوفية- في مزالق الرفض، ومن ذلك: تصورُ المسلم السنغاليّ للإسلام بصورةٍ تقليدية معينة، وهي: الإسلام الصوفي الطرقي، ولا يتصور معظم هؤلاء إسلامًا غير مرتبط بإحدى الطرق الصوفية الموجودة بالسنغال، وأيّ خروج عن ذلك يعد مُعاداة للأولياءِ، والشيوخِ، ويتعرّض صاحبه للازدراء والمُعاداةِ؛ بدءًا من أقربِ الأقربينَ، وانتهاءً بالسوادِ الأعظم من المجتمعِ.

**وقد شكل هذا الجانب مدخلًا خصبًا للرافضة لنشر مذهبهم**، تحت ستار: التصوف ومحبة الشيوخ وآل البيت!

---

## النسوية الإسلامية وإعادة إنتاج الفكر العلماني

فاطمة عبد الرؤوف

---

**لعل الواقع المزري الذي تعيشه كثير من النساء المسلمات، وحرمانهن من الكثير من حقوقهن التي جاء بها الإسلام** كان الحافز الرئيس لكثير من الحركات التي قامت لتُدافع عن حقوق المرأة المستلبة، في ظل واقع اجتماعي يبتعد كثيرًا عمّا جاء به الدين الخاتم.

**هـذا الخلـل الحـادث في بنيـة المجتمـع المسلم** نتيجـة ابتعـاده عـن قيَمـه الإسـلامية العليـا، واسـتبدالها بقـوة العـادات والتقاليد الموروثة من أيام الجاهلية، أو تلك التي تسللت إلينا من ثقافات وحضارات الأمم الأخرى؛ خاصة بعد وقوع بلادنا تحت سطوة الاستعمار العسكري والثقافي.

**هذه الحركات التي قامت لرفع الظلم الواقع على المرأة** اتخذت أكثر من منحى؛ فالحركات النسوية العلمانية التقليدية في بلادنا أخذت موقفًا سلبيًّا من الدين، يبدأ بإعلان الاحترام له ثم تجاهله تمامًا، باعتبار أن جوهر الدين هو: المساواة والعدل، وهو عين ما يدعون إليه، مرورًا بحركات نسوية أخرى تؤمن بالقرآن فقط وترفض ما جاءت به السنة، متجاهلة ما جاء في كتب التفسير على اعتبار أنها أقوال بشر.

**بعض هذه التيارات رفضت -أيضًا- أحكامًا صريحة في القرآن،** تحت زعم أنها جاءت خاصة لعرب الجزيرة في القرن السابع الميلادي، والبعض الآخر من هذه التيارات تحدث بمرارة وسخط على الدين ذاته، وتحميله ذلك الظلم الذي حاق بالنساء؛ كما نلحظ ذلك في كتابات نوال السعداوي -مثلًا-.

**كما أن هذه الحركات النسوية التقليدية** لا تملك أدوات معرفية خاصة بها، وهي تابعة لأيدلوجيات ليبرالية -وهي الأكثر اعتدالًا-، أو اشتراكية متطرفة، وبعضها يروّج لنسوية ما بعد الحداثة التي تطرفت في إثبات أفضلية جنس النساء، ودعت لتحيزات أنثوية، وتهميش الذكور.

**وعلى الرغم من نجاح هذه الحركات النسوية** في تمرير الكثير من الاتفاقات الأممية المتعلقة بالمرأة، وعلى الرغم من نجاحها في تدشين حزمة من القوانين الوطنية المحلية تصب في خدمة الفكر النسوي؛ إلا أنها تواجَه برفض شعبي واسع، واتهامات -صادقة- بأنها حركات مستلبة وتابعة فكريًّا وماليًّا لمؤسسات غربية، بالإضافة -طبعًا- لمعاداتها للدين أو تهميشه.

**والحقيقة أن الشعوب الإسلامية وإن ابتعدت عن الدين وعن قيَمه وأحكامه** إلا أنها تعلن احترامها له، ولتلك التيارات التي تستلهم مبادئه وفلسفته، ومن ثم وضعت الحركات النسوية العلمانية في وضع المتهم المشبوه، ووضعت الكثير من الأحكام العادلة التي تخص النساء في دائرة الظل، لأنها أتت على أجندة هؤلاء النسويات العلمانيات.

**ومن ثم كانت الحاجة ماسة إلى أن تقوم باحثات ومفكرات وناشطات** بالدفاع عن حقوق النساء المستلبة، استنادًا للمرجعية الإسلامية التي هي مرجعية الأمة، على اعتبار أن الدفاع عن الأحكام العادلة المتعلقة بالنساء هو دفاع عن الإسلام ذاته؛ حتى لا ينطبق علينا قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[البقرة:٨٥].

■ **انقسمت هؤلاء الناشطات إلى تيارين أساسيين:**

**التيار الأول: التيار النسائي الإسلامي:**

**وأهم ما يميزه:** إيمانه الكامل بكل ما جاء به القرآن من أحكام متعلقة بالنساء؛ دون ليّ أعناق النصوص، وأن ما جاء به القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان، واحترامه للتفاسير، مع ترجيحه لتفسير دون آخر استنادًا لقوة الدليل أيضًا.

**وتؤمن باحثات هذا التيار** بكل الأحاديث الشريفة التي صحّت سندًا ومتنًا.

**ومما يميزه:** أنه لا يعتمد على الفصل العنصري، ومن ثم يجتهد في هذا المجال الكثير من الرجال والنساء -جنبًا إلى جنب-.

**وأيضًا مما يميز هذا التيار:** أن الكثير من رموزه هم من دارسي الشريعة الإسلامية.

**التيار النسائي الإسلامي** شديد الحرص على إثبات هويته الإسلامية؛ بدءا من المصطلح «النسائي» نسبة إلى النساء، وهي -أيضًا- اسم سورة من أطول سور القرآن الكريم، وتمييزًا له عن مصطلح التيار النسوي الغارق في مستنقع من الدلالات سيئة السمعة!

**وترى صاحبات هذا التيار** أن الالتزام بأحكام الإسلام المتعلقة بالمرأة كجزء من الالتزام العام بالنظام الإسلامي بشموليته كفيل بحل كل المشكلات والتحديات التي تواجهها النساء، ويأخذن موقفًا نقديًّا من الوثائق الأممية التي تأسست على هدم وتفكيك الأسرة، وتزييف الوعي؛ لإنتاج مسخ نسائي يشبه الرجل!

**التيار الثاني: النسوية الإسلامية:**

**وهو التيار الذي آمن بالفكرة النسوية بوجه عام**، ورأى أنها ليست نتاجًا غربيًّا، وإنما هي: أفكار تكوّنت عبر نضال النساء على مدار التاريخ إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه.

**يرفض هذا التيار** الفكر النسوي المتطرف؛ الذي يعتمد على هدم كل آليات المعرفة السابقة، والذي ينحاز للنساء، ويبحث عن استقواء أنثوي مقابل الاستقواء الذكوري.

**لكنه يؤمن بأطروحة** «الجندر» أو النوع الاجتماعي، ويتعاطى معها بإيجابية.

**وترى رموز هذا التيار** أنه لا تعارض بين الفكر الإسلامي وبين الفكر النسوي أو أطروحة الجندر.

- **ومن الجدير بالذكر أنه يمكن تقسيم هذا التيار إلى مدرستين أساسيتين:**

**الأولى:** هي مدرسة الخارج، أي: منظرات الفكر النسوي الإسلامي من النساء في البلاد الغربية؛ حيث تشهد هذه المدرسة زخمًا كبيرًا يرتد أثره للداخل الإسلامي، ومن أعلامها: آمنة ودود، وهي مدرسة لا تتقيد في اجتهادها بأي قيد خارج منهجيتها في التفكير.

**الثانية:** هي مدرسة الداخل الإسلامي؛ حيث تتحرك بحذر أكبر، وهي تعلن أنها لا تستورد أجندتها من الخارج، وأن كل ما يتعلق بأفكار خارجة عن صريح الشرع مثل: المثلية ونحو ذلك -من أفكار النسوية العالمية- لا تعنيها، لأنها تتحرك وفق المشكلات الموجودة في الداخل لدينا فقط.

**وعلى الرغم من أن هذه المدرسة** تقوم باستيراد مصطلحات وأدوات الآخر النسوي المعرفية؛ إلا أنها تقوم بتبييضها وصبغها بصبغة إسلامية؛ عن طريق ليّ أعناق النصوص أو ابتسارها من سياقها!

**ولا تخفي الكثير من باحثات هذه المدرسة** تشوقهن لنيل حرية كتلك التي تتمتع بها النسوية الإسلامية في الخارج، ويكفي في هذا الصدد الاستماع للدكتورة أميمة أبو بكر -أستاذة الأدب في جامعة القاهرة- وهي تحمّل المؤسسة الدينية التقليدية (الأزهر) مسئولية بطء تحركات النسوية الإسلامية في الداخل الإسلامي، سواء على مستوى الاجتهاد أو مستوى الممارسة.

- **النشأة والأهداف:**

**بدأ مصطلح «النسوية الإسلامية» يظهر في تسعينيات القرن الماضي**، وتعتبر الناشطة الإيرانية زيبا مير حسيني أول من استخدمه.

**أما أبرز الحركات التي نشأت تجسيدًا لفكرة النسوية الإسلامية فهي:** «حركة مساواة»، وهي حركة عالمية انطلقت في مؤتمر عقد في ماليزيا عام (٢٠٠٩)، وحضره أكثر من (٢٥٠) امرأة ورجلًا، من نحو (٥٠) دولة حول العالم، وكانت الناشطة الإيرانية زيبا مير حسيني إحدى المؤسسات إلى جانب (١٢) شخصية أخرى.

**نال المصطلح شهرته على يد الأمريكية آمنة ودود** -أستاذة التفسير في جامعة فرجينيا-، وانتقل بعدها لمدرسة الداخل، ففي مصر تعتبر «مؤسسة المرأة والذاكرة» التي أسسها عدد من النساء أبرزهن: أميمة أبو بكر وهدى الصدة أبرز المؤسسات التي تتبنى نهج النسوية الإسلامية.

**تعرّف أميمة أبو بكر النسوية الإسلامية بأنها:** «موقف له منطلقات أنطولوجية معينة، وهدف مزدوج، هو: الاهتمام بتحسين

أحوال النساء؛ خاصة في المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة، وتحقيق العدالة والمساواة للنساء.

**والهدف الثاني هو:** إصلاح وترشيد الفكر الإسلامي نفسه، ومنهجيات العلوم الإسلامية والفهم الديني؛ لإعادة قراءة المصادر الإسلامية، ما يسمح ببناء معرفة إسلامية نسوية مساواتية».

**غاب عن الدكتورة أميمة** أن إصلاح الفكر الإسلامي ممن لا يمتلكن أدوات الاجتهاد الخاصة بهذا الفكر، ووضع المساواة المطلقة بين الرجال والنساء كهدف أعلى ينبغي تطويع الفكر الإسلامي للقبول به واحتضانه: خطأ منهجي فاضح، ولعلها تعتقد أنها بهذا التلفيق تُقنع منظرات الفكر النسوي بأن الإسلام لا يتعارض مع تلك النسوية المساواتية؟!

**وتلخّص الدكتورة أماني صالح** -نائبة رئيس جمعية المرأة والحضارة- خصائص المعرفة النسوية الإسلامية في واحدة من أهم المقالات التي كتبت عن النسوية الإسلامية بأقصى الدرجات الممكنة من الموضوعية والاعتدال في الرؤية في هذه النقاط السبع:

**١ - أصالة المكون الميتافيزيقي** جنبًا إلى جنب مع المصادر المادية للمعرفة.

**وهي تعني بذلك المكوّن:** الإيمان بالله وبالغيب، ولست أدري حقيقة سر الولع باستخدام مصطلحات الآخر، والنفور من مصطلحاتنا الأصيلة؟!

**٢ - إن المعرفة النسوية الإسلامية** تستند إلى إطار معرفي عقائدي أكبر.

**وهي بذلك تتشابه مع النسوية الليبرالية والاشتراكية** في انتمائها لغطاء فكري وعقائدي أكبر، وتبتعد عن نسوية ما بعد الحداثة التي ترفض المعرفة قبل النسوية.

**٣- المعرفة النسوية في المنظور الإسلامي هي:** معرفة نقدية في جوهرها ومضمونها، إصلاحية في هدفها.

**٤ - ثقافة واحدة لا ثقافتين، ومجتمع واحد لا مجتمعين.**

فهي لا تدعو للفصل العنصري أو النوعي عن المجتمع.

**٥ - محكومة بالضوابط الموضوعية والمنهجية الإسلامية.**

وهي نقطة بحاجة لكثير من المراجعات؛ لأن التطبيقات التي قدمتها هذه النسوية الإسلامية عليها كثير من الملاحظات، ومن أشهر هذه القضايا -مثلًا-: قضية القوامة، فباحثات هذه المدرسة يرين أن المرأة المعاصرة تشترك مع الرجل في الإنفاق؛ الذي هو السبب الأول للقوامة، بينما الآية لم توضح مَن المفضّل، ومن ثم فإن الأفضل يكون له القوامة، فقد يكون الرجل هو القوام على الأسرة، وقد تكون المرأة؛ كما ذكرت ذلك الدكتورة زينب رضوان، وحاز تفسيرها هذا على إعجاب باحثات هذا التيار.

**وبعض التفاسير تجنح للتطرف؛ كالقول:** إن الأصل هو: الأنثى وهي النفس الأولى، ومنها خلق زوجها؛ الذي هو الرجل، والكثيرات منهن رأين في مصطلح «الزوج» مرادفًا لمصطلح «الجندر» النسوي.

**٦ - معرفة تحررية ضد السلطة المطلقة** لفرد أو جنس أو رأي أو نظام وحيد.

**٧- نمو المعرفة النسوية رهين بنمو تيار ثقافي اجتهادي،** في نسيج المعرفة والثقافة الإسلامية عمومًا[١].

**■ النسوية الإسلامية والجندر:**

**على الرغم من أن النسوية الإسلامية** تحرص في عرض وشرح مفهومها على التصاقها بالإسلام، وأنها تسعى للتوفيق بين أفكار المساواة والجندر وبين ما جاءت به نصوص الشريعة؛ إلا أن الواقع الفعلي يؤكد أنه كثيرًا ما تنحّى الأيدولوجيا جانبًا؛ من أجل إنتاج خطاب معرفي نسوي، وتتفاعل النسويات الإسلاميات مع الليبراليات والتقدميات حول لائحة المطالب النسائية الرئيسة، كذلك الأفكار الأساسية للفكر النسوي.

---

(١) (نحو منظور إسلامي للمعرفة النسوية)، الدكتورة أماني صالح، دورية المرأة والحضارة.

**وإذا أخذنا قضية النوع الاجتماعي أو الجندر كنموذج** حيث يدعي دعاة النسوية الإسلامية أن هناك سذاجة مخلة في فهم قضية النوع الاجتماعي بين الإسلاميين! باذلين جهدًا ضخمًا لتطبيع المصطلح والمفهوم المرتبط به: «إن جزءًا رئيسيًّا مما اصطلح عليه أنه دراسات النوع (الجندر) يهتم بهذا الرافد من الدراسات الثقافية في التاريخ لتقصي أصل الانحيازات وسوء الفهم، نضرب مثالًا على ذلك مفاهيم ثلاثة مرتبطة ببعضها ارتباطًا وثيقًا، يظن الكثيرون منا أنها مفاهيم مؤصلة دينيًّا أو طبيعيةً تمامًا، لها صفات الأزلية والثبات والفطرة، وهي: دائرة العام والخاص، والعمل المنزلي ومسئوليته، وطبيعة المرأة أو وظائفها الطبيعية الفطرية»[1].

**النسويات الإسلاميات - إذن - يردن تفكيك فكرة** أن المجال الأساسي للمرأة هو: المجال الخاص، وأن البيت له أولوية بما يرتبط به من إدارة أو تربية أطفال، وهنا تفصح أميمة أبو بكر عن تبعية مدرسة الداخل لمدرسة الخارج حين تستشهد بآمنة ودود، وتنقل عنها هذه العبارة: «إن الإسلام -كما هو واضح في القرآن الكريم- لا يحدد أو يثبت الوظائف في ظل نظام اجتماعي مصمت، بدون السماح لهامش من التنويعات والاختلافات والتغيرات»[2].

**تنفي أميمة أبو بكر أن يكون للاختلاف البيولوجي** انعكاس نفسي أو انعكاس على تقسيم الأدوار، وترى أن هذا النمط غير سليم في التفكير: «إن هذا الاتجاه في التفكير يتبع منطقًا غير سليم؛ فيقوم على اعتبار الاختلافات البيولوجية البحتة أساسًا لتقسيم الطبيعة البشرية إلى طبيعة أنثوية وأخرى ذكورية، وأن كل طبيعة تختص بصفات محددة في التفكير، وأن كل طبيعة تختص بصفات محددة، كما يعتقد أن تقسيم الصفات الإنسانية بهذه الطريقة هو تقسيم فطري طبيعي، يتفق وفطرة كل فئة، أي: يتم سحب الاختلافات البيولوجية على اختلافات نفسية وعلى تفاوت في القدرات والمهارات الشخصية.

**والنتيجة الثانية هي:** ربط هذا التقسيم في القدرات والمهارات بالتقسيم الاجتماعي إلى أدوار ووظائف (أي: توزيع أدوار ومجالي العام والخاص)، واعتبارها وظائف طبيعية، وهذا بالتالي يؤدي إلى تبرير هيمنة وتحكم فئة على فئة؛ بدعوى أن فئة ما تفوق الأخرى في إعمال العقل وضبط النفس والتحكم في المشاعر، فهي جديرة بإمساك مقاليد الأمور والسيطرة والسلطة»[3].

**إنه هاجس السلطة والسيطرة والصراع** الذي يتغلب على الاستفادة القصوى من الطاقات الإنسانية، فإذا كان الله ﷻ خلق الرجال بوجه عام ببنية عضلية أشد قوة؛ أليس من المناسب أن يضطلعوا بالأعمال الأكثر مشقة؟ وهل من العدالة أو من الحكمة أن ندفع من هن أضعف في القوة العضلية للاشتراك على قدم المساواة مع الأقوى؟!

**وإذا كانت المرأة هي من تحمل وتلد وتُرضع؛** أليس من المنطقي أن تكون وظيفة الأمومة أكثر التصاقا بها؟..

**الأمومة القيمة العليا في هذه الحياة تتحول على يد الفكر النسوي** إلى مجرد وظيفة اجتماعية تقوم بها المرأة أو الرجل أو المؤسسة! هذا العبث بالجينوم البشري النفسي في أوربا أدى لهجران النساء لفكرة الأمومة؛ التي تحولت لعبء ومشقة! لأنها تقلل من فرص النساء في التنافس في سوق العمل.. في الفضاء الخارجي، ولأن الرجال لم يقبلوا بعد بالقيام بوظيفة الأمومة التي أصبحت لعنة على الجميع! فالذات الفردية التي يقتلها الطموح تتعارض مع قيمة الصبر والتضحية التي تعنيها الأمومة.

**إن التدخل الأخرق** لتحويل فطرة المرأة والتشكيك فيها بل وتفكيكها يؤدي لعواقب وخيمة على المستقبل البشري كله؟!!

**وأخيرًا وعلى الرغم من أن هذه النسوية الإسلامية تزعم** أنها مرتبطة بالقيم الإسلامية كما جاءت في القرآن والسنة، وأنها

---

(١) الدكتورة أميمة أبو بكر، «المرأة والجندر» (ص٣٣).

(٢) المصدر السابق، (ص٣٧-٣٨).

(٣) المصدر السابق، (ص٤٥).

متوافقة مع المفاهيم الأساسية للنسوية؛ إلا أنها تعلن بكل صراحة أن سبيلها إلى ذلك: إعادة تفسير القرآن بمنظور أنثوي، يستبطن القيم النسوية التي هي المرجعية الحقيقية والأساسية التي يتم الاحتكام إليها؛ حتى لا يصبح هناك خلاف بين من يطلق عليهن النسويات الإسلاميات والنسويات العلمانيات، وتتساوى فيها القيم الإسلامية العادلة وبين القيم المسيحية؛ التي حمّلت النساء وزر الخطيئة الأولى.

«**والمفروض ألا يتعارض عمل الإسلاميات أو النسويات** في حقل المعرفة الإسلامية مع غيرهن من الناشطات في مجال قضايا المرأة، مثل: العمل التنموي، والحقوق المدنية والسياسية والقانونية، وتحسين الصحة، ومجالات العمل، ومشكلات الختان والعنف وأشكال التمييز.. إلخ من المشكلات الراهنة.

**فموضوعات فهم وإعادة تفسير القرآن والحديث ومراجعة الأصول الفقهية وخلافه** تمثل الإطار الفكري والثقافي للعمل التنموي، **فالمطلوب - إذن -** إنهاء الاستقطاب المسمى بـ: «الإسلامي / العلماني» داخل مجتمعاتنا، فالجميع يطالب بقيم عادلة تحكم الجميع في سياق أصالة ثقافية وحضارية تحترم فيها المرجعية الدينية الإسلامية والمسيحية داخل المجتمعات العربية»(١).

**بقي أن نقول**: إن النسوية الإسلامية حققت بعض النجاح النسبي في بلادنا؛ لأنها تضع على اسمها لفظة: «إسلامية»، وليس أدلّ على ذلك من تلك التدوينة التي أحدثت جدلًا هائلًا في مصر حين كتبت إحداهن على موقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك): «لو جوزك قالك: اعمليلي شاي، وهو بصحته؛ ماتعمليش! شرع ودين انتي مش مطلوب منك ف الإسلام خدمة زوجك! تاني وتالت وهكررها! إسلامك فيمنيست وافتخر!».

**فهل تشهد الأيام المقبلة تنامي ظاهرة الإسلام الفيمنيست؟!**

(١) الدكتورة أميمة أبو بكر، «المرأة والجندر» (ص٥٧-٥٨).

## الحشد الشعبي بعد داعش.. السيناريو المحتمل

**أسامة الهتيمي**

**ربما لم يلتفت الكثيرون إلى أهمية التساؤل عن مستقبل ما يسمى بـ «الحشد الشعبي العراقي»** خلال الفترة الماضية؛ خاصة وأن العراق كان لا يزال يشهد معارك ضارية في مواجهة تنظيم «داعش»، كان آخرها: معركة الموصل؛ التي طالت لشهور.

**ومن ثم فقد كان يمثل هذا التساؤل لدى البعض** سؤالًا «استباقيًّا» يثير اللغط والشكوك حول نوايا أغلب من يطرحه، **غير أن هذا التساؤل أصبح مشروعًا ومهمًّا لأقصى درجة، بل وضروريًّا - أيضًا - في المرحلة الحالية لسببين أساسيين:**

**أولهما**: أن رئيس الحكومة حيدر العبادي أعلن بنفسه أنه تم القضاء على تنظيم «داعش».

**وثانيهما**: أن شهورًا قليلة هي المتبقية على إجراء الانتخابات النيابية المقررة في (مايو ٢٠١٨)، والتي بكل تأكيد ستساهم نتائجها بشكل كبير في تحديد الكثير من ملامح مستقبل العراق في المرحلة المقبلة؛ التي تغيرت فيها الخارطة السياسية في العراق بعد انهيار داعش، وأزمة إقليم كردستان.

### ◄ نهاية «داعش»:

**لا يمكن الفصل بين الحديث عن** مستقبل ميلشيا الحشد الشعبي وبين إعلان القضاء على تنظيم «داعش»، ذلك أن تأسيس هذه الميلشيا جاء بعد دعوة نوري المالكي في العام (٢٠١٤)؛ حيث كان وقتئذٍ رئيسًا لوزراء العراق، ثم فتوى المرجع الديني الأعلى الشيعي في العراق علي السيستاني الصادرة في (الرابع عشر من يونيو عام ٢٠١٤)؛ والتي عرفت بـ «الجهاد الكفائي»، ودعا خلالها القادرين على حمل السلاح إلى التطوع للانخراط في صفوف القوات الأمنية، ومقاتلة عناصر تنظيم «داعش»، عقب سيطرته على الموصل ومساحات واسعة من محافظتي صلاح الدين وديالى.

**وبالطبع، ويوم أن صدرت الفتوى** في ظل هذه الحالة الأمنية المتردية، والتي وصلت إلى حد أن سيطر تنظيم داعش على مساحات كبيرة في العراق، قدّرها البعض بثلث المساحة الكلية للبلاد؛ لم يكن ثمة وجاهة لدى أي طرف أو مكوّن في أن يبدي اعتراضًا بشأن تأسيس هذه الميلشيا؛ وإلا تعرض لاتهام مقابل بدعم وتأييد تنظيم «داعش»، وبالتالي فقد بدا أن هذه الميلشيا تم تأسيسها لدور وظيفي، وبالتالي فإنه يفترض أن تنتهي بانتهاء هذا الدور؛ ألا وهو: محاربة «داعش»، وتخليص الأراضي العراقية من سيطرته.

**وهو الأمر الذي تحقق بالفعل** وفق ما أعلنه العبادي نفسه مؤخرًا؛ من أنه تم القضاء على «داعش» في العراق من الناحية العسكرية، وأنه خلال المرحلة القصيرة المقبلة ستتم عمليات التطهير النهائية في صحراء الأنبار، وبعد إكمال عمليات التطهير ستعلن هزيمة «داعش» نهائيًّا في العراق.

**لكن ومع ذلك؛ لم يحدث المفترض!** وهو الأمر الذي يثير التساؤل حول مصير هذه الميلشيا التي انتهى الهدف من تأسيسها!

**هذا التساؤل لم تطرحه فقط المكونات السنية في العراق،** بل طرحته -أيضًا- مكونات شيعية، وإن اختلفت دوافع السؤال لدى كل طرف من الأطراف؛ فالبعض تساءل حول هذا المصير خشية أن يتنامى دور هذه الميلشيات التي تورطت -ووفق الكثير من التقارير الصادرة عن هيئات ومؤسسات حقوقية في الداخل والخارج- في جرائم وانتهاكات يندى لها الجبين بحق أهل السنة في المناطق التي خاضت فيها حروبًا ضد «داعش».

**والبعض يطرحه من باب التخوف** من أن يتم تحجيم دور هذه الميلشيا وحلّها؛ استجابة للمطالبات الداخلية والإقليمية والدولية التي ما فتأت تحذر من خطورة هذه الميلشيا؛ التي ترسخ للطائفية، وتعاظم من دور إيران في العراق.

### ◄ الانتخابات النيابية:

**أما الانتخابات النيابية العراقية المقبلة؛** فهي كذلك واحدة من أهم الدوافع وراء طرح هذا التساؤل؛ إذ أن استشراف مصير الحشد الشعبي ومستقبله مرهون -أيضًا- بالتعرف على مجريات هذه الانتخابات، وما إذا كانت هذه الميلشيا ستنتقل إلى الخطوة اللاحقة -وربما الأهم- وهي: الحضور السياسي، ومن ثم تصبح قوة سياسية لها جناحها العسكري، **الأمر الذي يقترب بها من نموذج حزب الله اللبناني؛ الذي هو النموذج الأمثل الذي تسعى إيران إلى استنساخه في كل الدول التي امتد إليها نفوذها.**

**وتأتي أهمية هذا الدافع** في ظل الحديث المتصاعد هذه الأيام في العراق عن اعتزام العديد من الفصائل المكونة للحشد الشعبي من خوض تجربة الانتخابات النيابية، رغم أن قانون الحشد الشعبي نفسه، والذي أقرّته الحكومة العراقية في (٢٦/١١/٢٠١٦)؛ فضلًا عن الدستور العراقي يحظران على أية قوى عسكرية أن تخوض غمار العمل السياسي، بل إن قانون الانتخابات نفسه والذي تم إقرار البرلمان له عام (٢٠١٣) يشترط -أيضًا- أن لا يكون المرشح من أفراد القوات المسلحة أو المؤسسات الأمنية عند ترشحه.

**وقد خرج الحديث من دور التكهن إلى دور الواقع الفعلي؛** بعد أن أكدت تصريحات العديد من قيادات الحشد والفصائل المندرجة تحت لوائه هذه المشاركة، ومن ذلك: ما قام به القيادي فيه والمتحدث السابق باسمه أحمد الأسدي من خلع بزته العسكرية، وقراره بالمشاركة في الحياة السياسية، بل والإعلان عن إطلاق تحالفٍ انتخابي بمسمى: «تحالف المجاهدين».

**وكذلك الإعلان المفاجئ للأمين العام لـ «منظمة بدر»** هادي العامري؛ الذي أكّد خروجه من «ائتلاف دولة القانون» -الذي يتزعمه نوري المالكي-، واعتزام خوض المنظمة للانتخابات المقبلة بعيدًا عن الائتلاف، وفق ما أكد النائب عن المنظمة حنين قدو، الأمر الذي يرجح أن تكون المنظمة على رأس «تحالف المجاهدين» المكوّن من ستة فصائل محتملة هي «منظمة

بدر» و«عصائب أهل الحق» و«حركة النجباء» و«التيّار الرسالي» و«كتائب جند الإمام» و«كتائب حزب الله».

**ويدعم ذلك -أيضًا-** ما أعلن عنه رئيس هيئة الحشد الشعبي فالح الفياض نفسه عن تشكيل حزبه الجديد «عطاء» لدخول الانتخابات المقبلة، مؤكدًا في الوقت ذاته أن حركته: «ستكون ملتزمة بالدستور وتوصيات المرجعية الدينية»، وهو النهج الذي سارت عليه -أيضًا- فصائل أخرى.

**وسواء كانت استقالة الأسدي عن رغبة في الاستقالة، أم أنها إقالة** -كما روّج لهذا الحشد الشعبي نفسه-؛ فإن الواقع ينطق بأن مشاركة الأسدي وعدد من فصائل الحشد في الانتخابات أمر مدبّر له؛ إذ لو كان الأمر محصورًا على الأسدي وفصيله لبدا الأمر وكأن الأسدي خضع لأطماع سياسية خاصة، أمّا وقد شملت الرغبة في المشاركة السياسية عددًا من الفصائل فإن ذلك يكشف عن مخطط للسيطرة على الحياة السياسية! بعد أن أصبح هناك قوة عسكرية تحمي هذه القوة السياسية، وتضمن لها فرض السيطرة.

**ومن ثم؛ فإن من السذاجة** اعتبار ما يتم الإعلان عنه بين الحين والآخر عن استقالات أو إقالات جماعية داخل الحشد الشعبي.

### ◄ فتوى السيستاني:

**رغم أن العراق شهد تأسيس ميليشيات عسكرية متعددة** منذ سقوط بغداد عام (٢٠٠٣)؛ والتي كان أغلبها شيعيًّا، استهدف إضعاف السنة وإقصاءهم من المشهد السياسي؛ إلا أنه لا يمكن أن نتجاهل دور فتوى الجهاد الكفائي للسيستاني؛ والتي جمعت أكثر من ستين فصيلًا عسكريًّا لكي تشكل ما عرف بـ «الحشد الشعبي» لمقاتلة «داعش»، حتى أن بعض التقديرات تتحدث عن أن عدد المقاتلين في الحشد تجاوز المائة وأربعين ألفًا، أي: أكثر من ضعف قوات البيشمركة الكردية، ونحو نصف عدد القوات المسلحة العراقية بأكملها! وهي أرقام لها دلالات ستتكشف لنا فيما بعد.

**وبعيدًا عن الملابسات والظروف الغامضة** التي دفعت الجيش العراقي النظامي للانسحاب من الموصل دون مبرر، وتركها لقوات داعش -والتي كانت السبب وراء فتوى تأسيس الحشد-؛ إلا أن الأكثر أهمية هو: أن هذه الميلشيا وبعد عامين تقريبًا على تأسيسها يتم إقرار قانون -أيده (٢٠٨) نائبًا من بين (٣٢٧)- بشأنها لتصبح ضمن القوات المسلحة العراقية، وخاضعة لقرارات القائد الأعلى للقوات المسلحة، فيخصص لأعضائها رواتب، ولأسر قتلاها معاشات؛ يقدر البعض قيمتها بأكثر من (٦٠) مليون دولار، وهو ما يمنح هذه الميلشيات وضعًا قانونيًّا يتجاوز فتوى السيستاني الخاصة بقتال تنظيم، تم الإعلان عن القضاء عليه!

**بالطبع لم يمرّ الربط بين فتوى السيستاني وتأسيس هذه الميلشيا** على الكثير من المكونات والقوى السياسية العراقية، ومن قبلها بعض القوى الدولية؛ كالولايات المتحدة الأمريكية، حيث اعتبرت أن الذي استطاع أن يجمع هؤلاء على أساس ديني هو من بيده أن يفرقهم، ما سلّط الأضواء على السيستاني، فسارع وبالتزامن مع الانتصار على «داعش» بالدعوة إلى حصر السلاح بيد الدولة؛ فضلًا عن الدعوة إلى عدم إشراك عناصر الحشد في الانتخابات، حفاظًا على السلم المجتمعي؛ كما أخبر بذلك عنه يان كوبيش -رئيس بعثة الأمم المتحدة في العراق؛ الذي التقاه نهاية شهر (نوفمبر) الماضي-.

**وقد تم تصدير تصريحات السيستاني وكأنها موقف يراجع فيها فتواه السابقة؛** من الدعوة إلى تأسيس ميليشيا الحشد، والتي لاقت استجابة سريعة من قبل الفصائل الشيعية! فيكون بذلك قد أسقط العبء عن كاهله، وأخرج نفسه خارج دائرة اللغط والسجال الدائر حول مصير الحشد ودوره في المرحلة المقبلة.

**غير أن الحقيقة هي: أن دعوة السيستاني الجديدة لا يمكن اعتبارها بمستوى فتوى تأسيسه،** ولهذا فهي لم تحظَ بالاهتمام، ولم تجد الاستجابة السريعة أو القوية، إذ لو كان

السيستاني، أو بالأحرى المرجعيات الدينية الشيعية في العراق جادة بالفعل في حلّ هذه الميلشيا وعودة عناصرها إلى الفصيل الذي ينتمون إليه؛ لتمّ إصدار فتوى صريحة وقوية بذلك، لكن هذا لم يحدث، وفي ظني أنه لن يحدث.

◄ الموقف الحكومي:

**راهن البعض على أن هناك خلافًا أو تخوفًا من قبل حكومة حيدر العبادي من الحشد الشعبي؛** كونه نما وترعرع على يد وعين نوري المالكي، ومن ثم فإن المالكي وفي إطار التنافس السياسي يمكن أن يستغل الحشد كأحد أهم الأدوات.

**غير أن هذا الرهان بجملته رهان خاسر،** فالعبادي نفسه كان يسوّق للحشد الشعبي، ويدافع عنه، ويمنحه العديد من الامتيازات التي لم يكن ليحصل عليها إلا بدعم العبادي، وأبرزها: ضم الحشد لقوات الجيش، الأمر الذي منح الحشد شرعية قانونية ودعمًا ماليًّا.

**ويكفي أن ننظر إلى التصريحات الأخيرة للعبادي** بشأن الانتصار على «داعش»؛ والتي تضمنت إعفاء كاملاً لعناصر الحشد التي وجهت لها اتهامات بالتورط في بعض الجرائم الحقوقية؛ إذ قال وبصراحة: «لا نسمح بتجريم كلّ من قاتل داعش الإرهابي».

**يضاف إلى ذلك؛** فإن أية محاولات لإقناع العبادي بأن يشارك في الحد من جموح الحشد -فضلًا عن حله- هي محاولات عبثية، فالتركيبة الفكرية السياسية للعبادي مبنيّة على خلفية شيعية تؤمن بوحدة المصير الشيعي، وتعطي للمذهب أولوية على حساب المفاهيم السياسية الأخرى؛ خاصة وأن العبادي ينتمي إلى حزب الدعوة ذي العلاقة التاريخية الوطيدة مع إيران، والذي يعد -أيضًا- أحد مكونات التحالف الوطني الشيعي الذي يضم الأحزاب التابعة لإيران، ومن ثم يستطيع بسهولة إقصاء العبادي عن منصبه وسحب ترشيحه له، حال تجاوزه الخطوط الحمراء في التعامل مع إيران.

**في ضوء ذلك؛** فإنه ليس من المنتظر أن تكون هناك تحركات حكومية للحد من جموح رجالات وقيادات الحشد الشعبي، ما يفتح أمامهم الباب على مصراعيه يفعلون ما يحلو لهم على المستوى العسكري؛ حيث يدين العراق كله -وفق تصريحات القيادات العراقية- للحشد بأنه ساهم بشكل كبير في تخليصهم من «داعش»، أو حتى على المستوى السياسي انطلاقًا من أن العراق أو العراقيين لا يمكن لهم أن يتنكروا للحشد ولأبطاله.

◄ مواقف الخارج:

**ولا يمكن -أيضًا- عند الحديث عن مستقبل ومصير الحشد** أن يتم تجاهل الموقف الإقليمي والدولي تجاهه؛ كون تأسيسه وتحركاته أحدثت تماسًا مع ملفات معقدة ومتشابكة، لا تنحصر تفاعلاتها في الداخل العراقي فحسب؛ خاصة وأنه ليس خافيًا على أحد ما يتلقاه الحشد من دعم إيراني، بما لذلك من تأثير كبير على أهداف هذا الحشد.

**ويمكن أن نركز على عدة مواقف إقليمية ودولية، ومنها:**

▪ الموقف الأمريكي:

**أكد الموقف الأمريكي من الحشد** ما يراه البعض من أن واشنطن هي من منحت إيران كامل الفرصة لكي تعبث بالعراق وتفرض هيمنتها عليه، إذ وعلى الرغم من إدراكها وعلمها بأن إيران تسعى لكي توجد لنفسها سندًا عسكريًّا عراقيًّا يدعم مواقفها ويخدم مصالحها؛ فإنها لم تتخذ مواقف حاسمة لمنع ذلك بل إنها -بشكل أو بآخر- مهّدت الطريق، وساعدت على تحقيق الهدف الإيراني.

**ويبرز شاهدًا على ذلك هذا** التردد الأمريكي في الإعلان عن موقف محدد من الحشد، ففي حين يمكن رصد بعض التصريحات والمواقف التي تعكس رفضًا أمريكيًّا للحشد ولممارساته، والتخوف من أن يجذر للأزمة في العراق؛ نجد في مقابل ذلك مواقف وتصريحات أخرى تمتدح الحشد ورجالاته، بل وأن يصبح جزءًا فاعلًا في تنسيق أعلى، بدعوى محاربة الإرهاب.

**ومن ذلك -على سبيل المثال-:** أنه وفي نهاية عام (٢٠١٦) أعلنت أنها لن تدعم قوات الحشد في عمليات تحرير مدينة الموصل، فيما أن نائب وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن قد قام وفي وقت متأخر من ليل (١٣/ ٩/ ٢٠١٦) بزيارة إلى العراق للقاء مسؤولي بغداد وإقليم كردستان، قبيل انطلاق عمليات استعادة الموصل؛ لبحث تحجيم دور الحشد في العملية العسكرية.

**وانسحب الموقف الأمريكي الرافض للحشد** إلى وصف أحد أهم قياداته ونائب رئيسه أبو مهدي المهندس بأنه إرهابي؛ كما جاء على لسان الناطقة باسم الخارجية الأمريكية هيذر ناورت؛ والتي لفتت إلى أنه تم إدراجه على قوائم الإرهاب من قبل الولايات المتحدة عام (٢٠٠٩).

**كذلك فقد تناقلت العديد من التقارير** أن واشنطن تحدثت في حوارها مع العبادي خلال زيارته لها في (مارس ٢٠١٧) بشأن حلفاء إيران من المؤمنين بولاية الفقيه داخل الحشد؛ حيث طالبت أمريكا بإبعاد هؤلاء، وتسليم أسلحتهم الثقيلة، وعدم بقائهم في منظومة الأمن العراقية.

**لكن في مقابل ذلك؛ ترصد لنا التقارير** قيام القنصل الأمريكي في العراق بزيارة رسمية يوم (١٢ مارس ٢٠١٦ م) لجرحى الحشد بمستشفى الصدر التعليمي بالبصرة؛ حيث قال القنصل -وباللغة العربية- إن: «الولايات المتحدة تعترف بالمساهمة المهمة التي يقدمها الحشد تحت قيادة رئيس الوزراء، وأغلب الحشد جاء من الجنوب، ولهذا أود أن أبعث تعازيّ لكل أهل البصرة والجنوب الذين فقدوا أحباءهم أو أصدقاءهم في الحرب ضد داعش».

**كما قام القنصل بتسليم هدايا للجرحى،** مشيرًا قبل مغادرته بأن الحكومة الأمريكية لا تضع أي فيتو على مشاركة الحشد بتحرير الموصل من داعش، وأن الأمر متروك للحكومة العراقيّة.

**ويدعم هذا الموقف** أن الفريق الأمريكي ستيفان تاوزند -قائد قوة المهام المشتركة، عملية العزم الصلب- قال في (٢٦ ديسمبر ٢٠١٦ م) أن: «قوات الحشد حلفاء، منضبطون بشكل ملحوظ».

**وأعتقد أن هذه التصريحات لا تحتاج إلى إيضاح!** فهي تكشف عن موقف مزدوج لدى الإدارة الأمريكية؛ ليس من المنطقي أن يقال بعفويته، وإنما هو يعكس حقيقة السياسات الأمريكية التي تحاول الاستفادة من كل شيء لتحقيق أهداف عليا لديها، ومن ثم لا يمكن على الإطلاق التعويل على الموقف الأمريكي الذي هو مصلحي بالدرجة الأولى!!

## ■ الموقف التركي:

**وإلى حد كبير يتشابه الموقف التركي مع الموقف الأمريكي؛** من ناحية التردد، لكن وللموضوعية يمكننا القول بأن التردد في الموقف التركي كان اضطراريًّا، ونتيجة لتطورات أزمة إقليم كردستان.

**وقد بدا هذا التردد التركي** في تناقض التصريحات المتشددة إزاء الحشد، مع الموقف الصامت فيما بعد؛ إذ نجد -مثلًا- الرئيس التركي رجب طيب أردوغان قد وصف -في مقابلة مع قناة «الجزيرة»- الحشد الشعبي بأنه تنظيم إرهابي، واتهم إيران بالوقوف وراءه، محذرًا من سياساتها «التي أصبحت تؤلم في العراق»، بل وفي شهر (يونيو من ٢٠١٧) جددت تركيا موقفها الرافض لمشاركة الحشد في معركة تلعفر بالموصل، وهو الرفض الذي سبقه إنذار جاء على لسان أردوغان -أيضًا- في (أكتوبر ٢٠١٦)؛ حيث حذر من القيام بأي تجاوزات بحق تركمان بلدة تلعفر، مؤكدًا أن الرد التركي سيكون «مختلفًا» في مدينة تلعفر «التركمانية» والمهمة لتركيا.

**هذه التصريحات التركية** كان يمكن الاعتداد بها لولا أن تحولًا كبيرًا انتاب هذا الموقف بعد اندلاع أزمة إقليم كردستان، وحدوث تقارب تركي-إيراني، عكسته زيارات متبادلة بين قيادات البلدين، أبرزها: زيارة أردوغان إلى طهران في بداية (أكتوبر ٢٠١٧).

■ الموقف السعودي:

**يعد الموقف السعودي من الحشد الشعبي الأكثر ثباتًا** من بين كل المواقف الإقليمية والدولية، لأن المملكة تدرك جيدًا أن هذه الميلشيا هي واحدة من أهم خطوات إيران لاستنساخ تجربة حزب الله اللبناني؛ ليصبح الحشد -وبعد سنوات- دولة داخل الدولة، فتضمن بذلك إيران السيطرة -ولأمد بعيد- على العراق ومقدراته، في إطار الهدف الإيراني الكبير.

**وبرز الموقف السعودي من الحشد** في تصريحات على لسان وزير خارجيّتها عادل الجبير؛ الذي قال في يوليو (٢٠١٦): «إنّ الحشد الشعبيّ طائفيّ، ولا بدّ من تفكيكه؛ لأنّه يؤجّج التوتّر الطائفيّ».

**وإلى قريب من هذا ذهبت دولة الإمارات العربيّة المتّحدة**؛ الّتي عدّت بعض فصائل الحشد الشعبي «جماعات إرهابيّة»، وذلك في عام (٢٠١٤).

• الرد العراقي:

**على أي حال؛ لم تقف الحكومة العراقية صامتة** تجاه هذه التصريحات والمواقف الدولية والإقليمية من الحشد؛ فقد دافعت عنه باستماتة، الأمر الذي يؤكد أن الحشد ليس مجرد جماعة وظيفية تقوم بدور وينتهي!

**ففي تعليق لرئاسة الوزراء العراقية ووزارة الخارجية الإيرانية** في (٢٣ أكتوبر ٢٠١٧) على تصريحات لوزير الخارجية الأمريكي ريكس تيلرسون حول الحشد؛ أعرب العبادي عن استغرابه من تصريحات تيلرسون! قائلًا: «إن الحشد الشعبي قوات وطنية، ولا يحق لأي جهة التدخل في شؤوننا».

**بل إن إيران لم تتردد في أن تدافع هي الأخرى عن الحشد**؛ إذ انتقد وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف تصريحات تيلرسون، قائلًا أنها متأثرة بالسعودية -الخصم الإقليمي لإيران-.

**كذلك؛ وردًّا على الموقف السعودي** استدعت وزارة الخارجية العراقية في شهر (يناير ٢٠١٦) السفير السعودي لدى بغداد ثامر السبهان، احتجاجًا على تصريحات قال فيها: «إن قوات الحشد الشعبي -التي تقاتل داعش- لا تلقى قبولًا لدى الأكراد وأبناء السنة في البلاد»، داعيًا إياها إلى ترك جبهات القتال للجيش العراقي.

◘ أشياء أخرى:

**أيضًا هناك حزمة من المسائل التي يجب النظر إليها عند استشراف مستقبل الحشد الشعبي منها:**

■ دوافع البقاء:

**وفق الكثير من التصريحات التي أدلى بها قيادات للحشد** يمكن قراءة ما يعتزمه هؤلاء بشأن المستقبل؛ إذ أشاروا إلى أن الهدف من الحشد يتجاوز ما كان قد تم الإعلان عنه في البداية وهو: مقاتلة تنظيم «داعش»، خاصة وقد حصل على شرعية؛ مثله مثل جهاز مكافحة الإرهاب، وبقية الأجهزة الأمنية.

**ومن ذلك:** ما صرح به القيادي في جماعة «جند الإمام»، المنضوية بالحشد مصطفى الياسري؛ حيث قال: «أرى أن الحشد الشعبي سيبقى طالما أن الفساد مستشرٍ في العراق ودول الجوار».

**ومضيفًا أن:** «الحشد الشعبي هو أداة لدى السلطة الدينية والتشريعية والحكومة العراقية، وسيف مشرع للتصدي لأي محاولة للفساد».

**وربما حسم أحمد الأسدي الأمر بتصريحه لـ «المونيتور»**؛ حيث قال: «إنّ الحشد الشعبيّ سوف يتحوّل إلى قوّة حكوميّة مستقلّة عن سيطرة الأحزاب السياسيّة؛ عبر الارتباط المباشر بالقائد العام للقوّات المسلّحة حيدر العبادي».

**وفي تصريح آخر لموقع «عربي ٢١» لم ينف طموح الحشد السياسي**؛ حيث قال: «إن الحشد لم ينف نيته استلام جزء من السلطة في العملية السياسيّة؛ لا سيما بعد تهالك مشروعية

الأحـزاب والقـوى الحاكمـة بعـد عـام (٢٠٠٣)، بـسبب الفـساد والفشل الحكومي، وزيادة غضب الشارع».

**وأشار الأسدي إلى أن الحشد** ليس بـالقوة العـسكرية التي تقاتل وتتراجع إلى الثكنات؛ فهو مشروع استراتيجي، ويعمـل على استقرار العراق وتحريره من الإرهاب الفكـري والمسلح، وبالنـسبة لمستقبله فـالعراق وحـده مـن يحدده، لـذا فـإن العمـل العـسكري للحشد لا يمنع الطموح في السياسة.

## ■ ازدواجية الولاء:

**يتحسب الكثير من المراقبين للشأن العراقي** -حتى من بين الشيعة أنفسهم- إلى أن قيام الحشد الشعبي بلعب دور عسكري ثـم سياسي سيفجر أزمة كبيرة في الداخل العراقي، وهو مـا يـدفعهم إلى إبـداء بعـض الامتعـاض، ذلـك أنهـم يـرون أنـه ومـع ضـم هـذه الميلشيات إلى القوات المسلحة لكن هذا لن يعدم ولاء عناصر هـذه الميلشيات إلى الفصائل التي كانت ضمنها.

**وتعكس تصريحات الناشط السياسيّ هادي والي الظالمي لـ «المونيتور» مثل هذا التخوف**؛ حيث قال: «سوف يبقى ولاء الفـصائل المـسلّحة محـصورًا بزعامـات الأحـزاب والجماعـات والمناطق، وإنّ إطلاق تسمية: «الحشد» على هؤلاء المقاتلين لن يغيّر مـن الحقيقـة؛ إذ تبقـى إيـديولوجيّتها في الـولاء للزعامـة الدينيّـة أو السياسيّة الّتي تمثّلها وتوفّر الدعم لها».

## ■ إشكاليات وتحديات:

**كذلك؛ فإن هناك تحديات تتعلق بحالـة الـرفض مـن قبـل بعض المكونات السنية والشيعية لهذه الرغبـة في اتـساع دور الحـشد الـشعبي**؛ التي تـردد أنهـا لـن تنحـصر فقـط في المـشاركة بالانتخابات، وإنـما ربـما المـشاركة في تـشكيل الحكومـة؛ عـبر إسـناد بعض الحقائـب الوزاريـة لشخـصيات محـسوبة عليـه، وهـو مـا دفـع تحالف القوى السنية والتحالف الكـردستاني الكـردي إلى أن يعربـوا عن تخوفهم من تحكم الحشد في السلطة، وبالتالي يستخدم لتكـريس هيمنة الشيعة على المشهد العراقي.

**أما الخلاف داخل البيت الشيعي حول الحشد**؛ فيـبرز بـين اتجاهين:

**أحدهما**: يتزعمه نوري المالكي.

**والآخر**: مقتدى الصدر -زعيم التيار الـصدري-؛ الـذي يـرى في الحشد سلاحًا بيد خصمه وغريمه اللدود المالكي، وأداة لمواصلة تهـميش الـصدريين، ومـنعهم مـن الارتقـاء إلى مناصـب قياديـة في السلطة.

**إذ من المعلوم** أن المالكي يرتبط بتحالفات وثيقة مع كبار قادة الحشد، وفي مقدّمتهم: هادي العامري -زعيم منظمة بدر-، إضـافة إلى زعـماء فـصائل معروفـة بعـدائها للـصدر، مثـل: عـصائب أهـل الحقّ، وحزب الله-العراق.

**فيما يرى بعض المحللين احتمالية** أن يكـون صراع مـا بعـد التخلص مـن «داعـش» بـين الحـشد وقـوات أمنيـة أخـرى؛ كجهـاز مكافحة الإرهاب؛ خاصة وأن الحشد مدعوم من إيران، فـيما جهـاز مكافحة الإرهاب مدعوم من أمريكا.

## ◄ السيناريو المحتمل:

**ترتيبًا على ما سبق، وفي ضـوء المقـدمات التي سـقناها؛** فإنه لا يمكن الجدال حول أن الظروف أصبحت مواتية بشكل كبير لكي ينتقل الحشد الشعبي لخطـوة أخـرى لتحقيـق الخطـة الإيرانيـة؛ لكي يصبح نسخة جديدة لحزب الله اللبناني؛ ليكون القوة السياسية الأولى في العراق، تدعمها قوة عـسكرية تـصبح يومًا بعـد يـوم هـي الأقوى؛ سواء كان ذلـك عـبر تنـامي بنائـه الـذاتي، أو عـبر الـسيطرة على الجيش العراقي.

**وبالطبع؛ فإن الحشد ومن خلفه** يراهنون على اكتساب المزيـد مـن الوقـت، والـدخول في منـاورات سياسـية معقـدة ومتـشابكة، مـستغلين التطـورات المتلاحقـة في المنطقـة برمّتهـا؛ حتـى يمكـنهم الوصول إلى النقطة التي يصعب معهـا بدرجـة كـبيرة جـدًّا مواجهـة تنفيذ ما يراد للعراق؛ من خضوعه للسيطرة الإيرانيـة عـبر وكلائهـا الذين يقودون الحشد الشعبي!

## الانحرافات المعاصرة في مسائل الجهاد

عرض: أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

**هذا الكتاب هو بالأصل جزء من رسالة دكتوراة للمؤلف، وهو:** الدكتور راشد بن عثمان الزهراني بنفس العنوان، وأصدر جزءًا آخر منها بعنوان: «الجماعات الجهادية المعاصرة وأبرز قياداتها الفكرية»[1]، وقد صدرا عن فجر الإبداع سنة (٢٠١٦)، ويقع كتابنا هذا في (٤٤٠) صفحة.

**الحقيقة أن الكتاب مهم في موضوعه ومضمونه،** وهو من الكتب التي تعالج مواضيع الساعة التي تواجه الأمة بِلغة سهلة وواضحة، مع عمق علمي بالغ واستيعاب لكثير من الشبهات في هذا الباب.

**يتميز الكتاب بأنه جمَع شبهات الغلاة وانحرافاتهم في باب الجهاد من عدة مصادر وتوجهات،** فهو يبدأ بسرد ما قاله الغلاة من انحرافات في الموضوع مما يكشف عن مدى استفحال هذه الانحرافات في كتب الغلاة من مختلف البلاد والتوجهات والفترات الزمنية، مما يجعل منه شبه فهرس جامع لشبهات وانحرافات الغلاة في باب الجهاد، ومن ثم يردّ عليها ويفنّدها بالدليل الشرعي والدليل العقلي.

**وأحيانًا يسرد تراجعات بعض الغلاة عن هذا الانحراف،** مما يكشف عن مقدار الخلل والجهل الذي يتميز به منظرو الغلاة في شبابهم؛ حين تبنّوا هذه الانحرافات، وكيف أنهم أنفسهم تراجعوا عنها مع الخبرة والتعلم، ولكن بعد حصول الكوارث وإراقة الكثير من الدماء والأموال المعصومة! وبعد أن زعزعوا أمان واستقرار بلاد المسلمين! وضيّقوا على الدعوة الإسلامية! وأعانوا الكفار على بلاد الإسلام! وجرّوا الدول والأنظمة للتشدد والظلم كردة فعل في بعض الأحيان!

**للأسف أن هذا الكتاب الهام وأمثاله** لا تحظى بالانتشار المطلوب شعبيًّا لتحصين الوعي وتنوير الأذهان، فلا تحظى بتغطية إعلامية ولا دعاية مناسبة بحجم أهميته وموضوعه، ولذلك تنتشر كتب الغلاة، ويتم تداولها أضعاف أضعاف الكتب المتخصصة بكشف ضلال الغلو والانحرافات!

**وهذا خلل يجب معالجته؛** من خلال اهتمام المؤسسات العلمية والإعلامية بتبني مثل هذه الكتب في طبعات شعبية لتصل فوائدها للمجتمع؛ إما عبر المدرسين في الجامعات والمساجد والكتّاب والمتحدّثين في وسائل الإعلام، أو من خلال اعتمادها في الكتب المجانية أو المدعومة في الحملات الثقافية الرسمية، فتصل للشباب وعامة الناس، ولا تبقى حكرًا على المختصين والمتابعين بشكل دقيق للمؤلفات في هذا الباب.

**الكتاب جاء في تمهيد وفصلين:**

**التمهيد:** تعرّض لمفهوم الجهاد وأنواعه وحكمه وشروط وجوبه.

**أما الفصل الأول:** فتعرض لسرد انحرافات جماعات الغلو والتطرف في باب الجهاد والردّ عليها، **وقد احتوى على (١٢) شبهة هي:**

١ - دعوى وجوب جهاد الدول التي لا تحكم بشرع الله لكفرها.

٢ - وجوب جهاد حكام الدول الإسلامية لتعطيل الجهاد في هذا العصر.

٣ - اشتراط المشاركة في الجهاد لقبول قول العالم في مسائله.

٤ - تطبيق أحكام الطائفة الممتنعة على الدول الإسلاميَّة.

٥ - مفسدة بقاء الكفر أعظم من مفسدة القتل.

٦ - دعوى عدم صحة المعاهدات الدولية في هذا العصر.

٧ - وجوب قتل النّفس عندما يقع الفرد أسيرًا في أيدي رجال الأمن.

٨ - التوسع في قتل الأبرياء المعصومين استدلالًا بمسألة التترس.

٩ - دعوى جواز قتل الأطفال والنساء داخل الدول الإسلاميَّة بدعوى تبييت العدو.

١٠ - دعوى كفر من استعان بغير المسلم لقتال المسلم الصائل.

١١ - دعوى أن الجهاد في هذا الزمان جهاد دفع، وهو فرض عين على جميع الأمة.

١٢ - مفهومهم لحديث إخراج المشركين من جزيرة العرب.

**ويصعب هنا استعراض ردود المؤلف على هذه الشبهات؛** لتشعّب الرد وتعدد وجوهه، ولكن كل من يشتغل بمقاومة الغلو سيجد في جهد المؤلف غنيمة باردة تكفيه الكثير من البحث والعناء في بطون الكتب وردود العلماء على أهل الغلو.

**وتقريبًا تستوعب هذه الشبهات التي فنّدها المؤلف** أغلب شبهات هذه الجماعات والتنظيمات والتي تتكرر كل فترة بحسب التنظيم الجديد، والذي يشغل الساحة بشبهاته.

**ومن المؤسف أن يبقى كثير من الشباب مغترًّا بهذه الشبهات الساقطة**، بسبب رواج الشبهة وتزويقها بالخطاب الحماسي والنشيد العاطفي، فيما تقبع كتب الردود على الرفوف منزوية يعلوها الغبار لا يعلم عنها الشباب شيئًا!

**الفصل الثاني**: خصّصه المؤلف لبيان أسباب الخلل والانحراف عند الغلاة في مسائل الجهاد؛ والتي تم بيانها وتفصيلها، **وهي خمسة أسباب:**

١) الجهل بأحكام الجهاد ومقاصده.

٢) بناء الكفر والإيمان على مسائل فقهية خلافية لا عقدية.

٣) عدم الأخذ بالمفهوم الشامل لمعنى الجهاد.

٤) الجهل بمنهج السلف في الاستدلال وتقرير المسائل.

٥) الخلل في فهم مسائل التكفير والولاء والبراء والبيعة في مسائل الجهاد.

**ومن خلال بيان الباحث هذه الأسباب** يظهر جليًّا تكرارها عند كل جماعات ومنظري جماعات الغلو المعاصرة، فالجهل الناتج عن صغر السن وقلة العلم ينتج هذه الكوارث، ولاحقًا تتم المراجعات والتراجعات بعد نضج التجربة والسن والعلم نوعًا ما!

**ولذلك؛ فإن تلخيص مثل هذا الكتاب وأمثاله ونشره بين الشباب مبكرًا** سيكون له دور توعوي مبكر وتحصين فكري وشرعي قبل وقوع الكارثة.

**ومَن تأمل في مئات الآلاف من الشباب في مختلف البلدان، والذين كانت لهم صلة بالعلماء؛** يجد أنهم نجوا من فتنة الغلو والانحراف التي تمكنت من الشباب الصغار في السن والعلم، والبعيدين عن العلماء وحلقاتهم ودروسهم وتوجيهاتهم.

**وهو تكرار لتجربة الخوارج الأُول مع حبر الأمة عبد الله ابن عباس** رضي الله عنهما حين جاء فناظرهم؛ فرجع وتاب معه عدة آلاف من جلسة واحدة!

**الخلاصة:**

**هذا الكتاب مرجع مهم في باب تفنيد فكر الغلو والتطرف،** ويلزم نشره بشكل واسع على الدعاة والمحتكين بالشباب، وبين الشباب أنفسهم؛ لنستثمر طاقاتهم فيما يعود بالنفع والخير على أنفسهم وأمتهم.

**وهو - أيضًا - كتاب متميز في التعريف بهذه الجماعات ومنظري الغلو** من منظور شرعي علمي، وليس كالمؤلفات التجارية والصحفية في السوق.






## الاجتماع والاتفاق بركة

**قالوا:** اجتماع وليّي عهد السعودية والإمارات ورئيس التجمع اليمني للإصلاح مؤشر إيجابي، أرجو أن تحصد الساحة اليمنية ثماره في ظل الحراك الذي أعقب نهاية علي عبد الله صالح.

اللّهم أصلح ذات بين المسلمين!

**د. محمد بن إبراهيم السعيدي، تغريدة على تويتر، ١٣/ ١٢/ ٢٠١٧**

## هم العدو فاحذرهم!

**قالوا:** كشفت شركة فاير آي (Fire Eye) العالمية المتخصصة في أمن المعلومات في تقرير جديد لها: أن قراصنة مرتبطين بالحكومة الإيرانية يعملون ضمن مجموعة (APT ٣٤) تجسسوا على مؤسسات حكومية وصناعية لتركيا والسعودية وقطر والإمارات ولبنان والكويت.

وأن المخترقين استخدموا -أحيانًا- تقنية الاختراق المعروفة باسم: (Spear Phishing)، أو الاصطياد بالرمح، وهي نوع من أنواع هجمات الاصطياد التي تركز على مستخدم واحد أو دائرة داخل منظمة، يتم شنّها من خلال انتحال هوية جهة جديرة بالثقة لطلب معلومات سرية، مثل: أسماء تسجيل الدخول وكلمات المرور.

**ترك برس، ٩/ ١٢/ ٢٠١٧**

## باختصار مفيد

**قالوا:** «حلف الممانعة»: صراخهم ضد إسرائيل، وصواريخهم على العرب!

**هادي الأمين، تغريدة على تويتر**

## المطلوب الآن

**قالوا:** مفاهيم صوفية تسللت إلينا: الحث على الرجوع لله والتوبة لتعود فلسطين أو لننتصر... كلام صحيح لكنه عام.

هناك تفاصيل أخرى لا بد من العمل بها لتحقيق النصر، وليست التوبة والعودة وحدهما تكفيان، ولذلك فصّل المولى: فأمر بإعداد العدة، والعمل، والتخطيط... كل ذلك مطلوب للنصر.

لذلك مخطئ من يقول: إن القدس لا تعود بالسياسة، لأن السياسة الشرعية جزء من عودتنا لله، العودة لله تعني: العودة لِما أمر الله به كله، وليس لشيء دون آخر... أما العودة بالتوبة والاستغفار وحسْب؛ فهي مفاهيم صوفية تسللت إلينا.

**إياد القيسي، صفحته على الفيس بوك**

## انقلاب في الموازين

**قالوا:** ومن العجيب أن ينفق في العالم على تعليم الجهل أكثر مما ينفق على تعليم العلم!!

**نور الدين علي الشافعي، صفحته على الفيس بوك**

## إيران: تحرير القدس يمر عبر تدمير العرب

د.نبيل العتوم- موقع مركز أمية، ٢٠١٧/١٢/١١

**بعد ثمانية وثلاثين عامًا من «الثورة الإسلامية» الإيرانية:** ماذا قدمت طهران للقضية الفلسطينية وتحرير القدس؟! عشنا في إيران، وسمعنا الشعارات والخطب الجوفاء والشعارات الرنانة، وتبادل مُحكم بين قادة إيران ونخبها السياسية والعسكرية ببراعة فائقة أدوار الصراخ والعويل من أجل فلسطين، والادعاء بأنها القضية المركزية للثورة الإسلامية ، وهي من ثوابت سياستها الخارجية.

**الأمر المؤكد أن القضية الفلسطينية تندرج ضمن بؤر اهتمام الدولة والثورة الإيرانية،** لكن ليس من زاوية الدفاع الحقيقي عن القدس والشعب الفلسطيني، أو السعي لحل قضيته العادلة وتحرير بيت المقدس -الذي لا تعترف بوجوده أصلًا-؛ ولكن من باب توظيفها سياسيًّا وإستراتيجيًّا وفكريًّا ضمن «العدة والكرستا» الخاصة بمكياج النظام الإيراني وتلميعه! والادعاء الكاذب بأن طهران تقود ما يعرف بـ «محور المانعة»! وغير ذلك من المزاعم الواهية.

**في حين أن الحقيقة واضحة كالشمس؛** فهي فعلًا تقود محاور المقاومة، لكن لم تتحمل يومًا عبء مواجهة إسرائيل بشكل مباشر؛ لكن لماذا؟

**قد يجادل بعض الغارقين بأحلامهم بالقول:** إن الملالي يقدمون الأموال والسلاح لمحور المانعة، والمفارقة التي لا يدركونها أن ما تدفعه إيران في هذا الإطار هو: «تكلفة ذات عائد مجد ومربح»؛ لتوظيف التنظيمات والحركات دفاعًا عن مجالها الحيوي وأمنها القومي؛ من خلال ما اصطلحت إيران على توصيفه بشبكة الأمان، وبموازاة ذلك الترويج لدعاية سياسية تصب لمصلحة النظام الإيراني من قبيل دعم المستضعفين، والحركات التحريرية، وهزيمة المستكبرين.

**أثبتت الأحداث في منطقتنا** أن إيران وظفت ساحة الأزمات العربية للاتجار بها، وباتت تتصدر عن جدارة أهم تجار الحروب وسماسرة الصراعات بلا منازع؛ الذين لعبوا أدوارًا مخيفة في تدمير العديد من دول المنطقة، وفي مقدمتها: سوريا، والعراق، واليمن، ولبنان... لإعادة هندسة المنطقة وفق مؤشر طائفي مذهبي مدمر، ووفق أسس مصالحية جديدة تناسب أهداف القوى الإقليمية والكبرى من دون مراعاة مصالح الشعوب العربية التي باتت أحد الأهداف لطحنها وسحقها، وبشكل بات لإيران الفضل الأكبر لتكون القضية الفلسطينية في ذيل القائمة بلا منازع.

**يُدرك الإنسان العادي البسيط** أن القواسم المشتركة بين إيران وإسرائيل كثيرة، وأن شعارات الموت لإسرائيل ليست سوى «بروبغندا» لتجارة سياسية قذرة، تصب في مصلحة إيران وإسرائيل معًا؛ فالثورة الإيرانية منذ انتصارها ولغاية اليوم تتاجر بهذه الشعارات الرنانة لكسب تعاطف وود الشعوب العربية والإسلامية المغلوبة على أمرها، وهذا الأمر يخدم إسرائيل أيضًا؛ التي لا تُريد غطاء عربيًّا للقضية الفلسطينية، أو على الأقل تريد

خلافًا طاحنًا على أحقية رعاية القضية بين العرب وإيران وتركيا؛ بعد نجاح إيران تنصيب نفسها زعيمة لمحور الممانعة والمماتعة.

**وتل أبيب - أيضًا - هي الأكثر توظيفًا لهذه الادعاءات الإيرانية الفارغة المضمون!** حيث توظفها في الترويج لفكرة المؤامرة والخطر الداهم الذي يتهددها! وتحصيل ما أمكن وبارك المساعدات المالية الضخمة، وعلى أحدث الترسانات العسكرية، وكان أخرها: أحدث طائرة قتالية في العالم (إف ٣٥)، بحجة مواجهة الخطر الإيراني .

**أما كروت إيران التي تشكل أدوات وأوراق تفاوضية مثل:** «حزب الله بفروعه»، وحركة «الحشد الشعبي»، وغيرها، وفي كل مكان يُذكر فيه اسم إيران عاليًا؛ فهي أوراق طهران «المكينة» لابتزاز العرب والغرب معًا؛ للحصول على مكاسب إقليمية، والمساومة خدمة لمشروعها التوسعي، فمن دون نفوذ قوي في دول ومناطق حيوية مثل: لبنان واليمن وسوريا وغيرها لم تكن إيران لتستطيع أن تنتزع الاعتراف بمكانتها الإقليمية، وزعامتها، ودورها، وبرنامجها النووي.

**هل يتصور أحد** أن إيران يمكن أن تكون حليفًا موثوقًا للعرب؛ حتى على مستوى الانخراط المباشر لمواجهة إسرائيل؟!

**وهل يعتقد أحد** أن مشروع إيران الصاروخي والنووي والمنوي والفضائي موجه ضد إسرائيل بالدرجة الأولى؟!

**ونحن نستذكر سياسة الاستعراض و«العرط السياسي»** التي قام بها الجيش الإيراني الذي أبدى الاستعداد لتوجيه صواريخه لدك الرياض والخليج؛ بعد أن قامت إيران بالكشف عن «منشأة عماد الصاروخية»، وهي أكبر مخزن صاروخي في تاريخ إيران؛ الذي لم تعلن عن وجوده أصلًا في ذروة الأزمات مع إسرائيل، وقت الاعتداء على غزه و لبنان.

**المؤكد أن القدرات العسكرية الإيرانية هدفها:** تخويف الدول العربية وردعها، فإيران التي صدعت رؤوسنا بانجازاتها الصاروخية لم تُطلق يومًا ما طلقة واحدة ضد إسرائيل! أما فيلق قدسها المشئوم فهو الذي أعمل قتلًا وذبحًا لأهلنا في سوريا والعراق ولبنان.

**أما حروب النجم الإعلامي البارع (حسن نصر الله)! ضد إسرائيل؛** فهي حروب وكالة للدفاع عن الولي الفقيه؛ التي ولدت ثأرًا شعبيًّا «عربيًّا وإسلاميًّا» مع مرتزقة حزب الله؛ اللذين باتوا أحد أدوات إيران الفتاكة للانتقام من الخصوم والمنافسين والشعوب والحركات التحريرية، وذبح العرب «السُّنة».

**هذا العام كان احتفال الولي الفقيه بـ «يوم القدس» ملفتًا؛** حيث جابت مسيرات شوارع طهران، ردد الإيرانيون خلالها هتافات ضد المملكة العربية السعودية، وداعش، والتكفيرين؛ عوضًا عن أميركا وإسرائيل!

**وفي هذا العام احتفلت إيران بإطلاق صواريخها الباليستية «ذو الفقار»** على دير الزور في سوريا.

**وفي هذا العام أطلقت مليشيا أنصار الله الحوثية وبرعاية رسمية إيرانية** (٨٤) صاروخ على السعودية، من ضمنها ثلاثة صواريخ مستهدفة مكة المكرمة.

**وفي هذا العام سجل اختراق إيران للأمن القومي العربي أسوأ حالاته؛** حيث تمكنت أجهزة الأمن العربية من ضبط (١١) خلية نائمة إيرانية، من ضمنها: خلية العبدلي في الكويت القادرة على نسف أمن الكويت وسلمه الأهلي، والتي توعد فيها (علي لاريجاني) بقدرة إيران على قلب نظام الحكم في الكويت خلال ساعات، والمخفي أعظم!

**وهذا العام ستحتفل إيران** بضم (٣١) مليشيا متعددة الجنسيات -إلا من الإيراني - لإنعاش محور المقازمة الإسلامية العالمية.

**وهـذا العـام كـذلك** «تعـززت الـشعارات، وتنوعـت بـها لـذّ وطاب، بعـد أنَّ كـان الطريـق إلى القـدس تمـرّ ببغـداد»، ومـع مـرور الأشهر، وتصاعد وتيرة الحريق الإقليمي؛ تكاثرت الطرق الإيرانية التي تصل إيران إلى «القدس»! من بغداد وبيروت ودمشق وحلب ودير الزور والمنامة وصنعاء والكويت، بانتظار أن تـدخل البورصة أسماء جديدة... والحبل على الجرار.

**وبـالأمس أشـار قائـد «فيلـق محمـد رسـول الله»** -التـابع للحرس الثوري الإسلامي- إلى الوضـع اليمني، ومـا شـهده مـن تحولات في الأيام الأخيرة، مبشرًا بأننا سوف نـسمع أخبار سارة سوف تدمر المؤامرات وتحبطها، وتصبح الطريق سالكًا بشكل أكـبر لتفرغ إيران لتحرير القدس.

**بموازاة ذلـك وللمفارقـة كـشفت الـسلطات الإيرانيـة هـذا العـام** عـن لوحـة كبـيرة للعـد العكـسي في سـاحة فلـسطين وسـط طهران، تعرض عدد «الأيام المتبقية لتدمير إسرائيل» وزوالها! لكـن لم يبلغونا من أي طريق ومعبر هذه المرة؟!!

**وهذا العام وللمفارقة -أيضًا- انطلقـت سـمفونيّة موحّـدة** مـن حنـاجر الـولي الفقيـه وزمرتـه، ومخالبـه ومرتزقتـه الإقليميين في لبنـان (حـسن نـصر الله)، والعـراق (نـوري المـالكي)، والـيمن (الحوثي) في وقت واحـد، محـذرة بالويـل والثبـور عـن «بـزوغ نجـم حركـات إرهابيـة جديـدة»، سـتنقض عـلى دول المنطقـة وشـعوبها، وأوصـونا بعـض النواجـذ عـلى إيـران وحمايتهـا؛ حتـى تـتمكن مـن الدفاع عن المنطقة وأمنها واستقرارها!

**لا شك بأن هذه المعزوفة مـن التهديـدات وغيرهـا** تُـشكل لحظة حاسمة في نبرة التهديدات الإيرانية، ليس لغرض؛ إلا لتـدمير المنطقة واستنزافها، تحت شعار كـاذب عنوانـه: «العبـور إلى القـدس وتحريرها»!

**زار لبنان وسبب الكثير من الجدل..**
**مَن هو «قيس الخزعلي»؟**

رستم محمود- موقع درج، ٢٠١٧/١٢/١٣

**في صوره الكثيرة يظهر قائد ميليشا «عصائب أهل الحق» العراقية قيس الخـزعلي** تـارة مرتـديًا عمامـة رجـل الـدين، وتـارة أخرى مرتديًا بدلةً عسكرية، عـلى نحـو مـا ظهـر مـؤخرًا في جنـوب لبنان، حين تفقد مواقع حزب الله فيه.

**لكن الخزعلي يخلط أحيانًا بين القيـافتين؛** فيرتـدي الـزيّ العسكري، ويـضع عمامـة بيـضاء، وهـذا مـا دأب عليـه رجـال ديـن شـيعة بـدءًا مـن الحـرب العراقيـة الايرانيـة، وكانـت لحظـة «الحـشد الـشعبي» مناسـبة لتكثيـف هـذا الميـل، ففـي تلـك اللحظـة صـارت الطائفة كلها ميليشيا مقاتلـة، ولم يقـو صـاحب عمامـة عريقـة، مثـل: رئيس التحـالف الـوطني العراقـي عـمار الحكـيم مـن مقاومـة البدلـة العسكرية، فما بالك بحديثي النعمة في ارتدائها من أمثال قيس؟!

**وهـا هـو الرجـل يـصل إلى الحـدود اللبنانيـة الإسرائيلية** كـواحد من جند قائد فيلق القدس الإيراني الجنـرال قاسـم سـليماني، وفي سـيرته الشخـصية قبـل سـقوط نظـام صـدام وبعـده الكثـير مـن العناصر التي تؤشر إلى ما آلـت إليـه حـال قـيس كـواحـد مـن جنـود سليماني.

**الخــزعلي المولــود عــام (١٩٧٤) في منطقــة «مدينــة الــصدر»** شرق العاصــمة بغــداد، والعائــد بأصــوله العائليــة والعشائرية إلى بلـدة الناصريـة العراقيـة الجنوبيـة، قـادم مـن خلفيـة اجتماعية سياسية متواضعة، لكن يحمله الطمـوح الشخـصي الجـامح مُنـذ أوائـل شـبابه لأن يـصعد في سـلم الـسُلطة والحُكـم، لاعبًـا ومـستفيدًا مـن تناقـضات القـوى الـسياسية، ومـساهمًا مبـاشرًا في الميلـشيات العـسكرية؛ التـي تـسعى للانقـضاض عـلى الـسُلطة «الشرعية» والحلول مكانها.

**اعتبارًا من أواسط التسعينات** تلقى الخزعلي في حوزة المرجع الديني الشيعي السيد محمد محمد صادق الصدر معارفه الدينية والأيديولوجية الأساسية الأولى، بعدما كان قد درس الجيولوجيا في كلية العلوم بجامعة بغداد.

**حادثتان رئيسيتان كونتا «وجدانه السياسي»:** الانتفاضة الشيعية (الشعبانية)؛ التي اندلعت في كافة مُدن جنوب العراق، عقب انسحاب الجيش العراقي من الكويت، في ربيع عام (١٩٩١)، والتي قُمعت بوحشية وطائفية مُنقطعة النظير من قِبل النِظام العراقي السابق! وقد شكل «إذلال» المرجع الديني السيد محمد محمد صادق الصدر ذروة ذلك القمع؛ حينما أُجبر على الظهور على القناة التلفزيونية الرسمية، مُعلنًا تنديده بتلك الانتفاضة، وتأيده للنِظام العراقي.

**الحادث الثاني تمثل في اغتيال السيد الصدر نفسه عام (١٩٩٩)**، فالصدر الذي كان ذو مكانة روحية ووجدانية استثنائية في قلوب مُقلديه من الشيعة العراقيين؛ شكل اغتياله صدمة شديدة لهم.. والنِظام نفذ قتله بدمٍ بارد، ودون أن يكون ثمة أيّ «سببٍ» مباشر لاغتياله! فالصدر تمت تصفيته لأنه شخصية شيعية ذات وزنٍ وحضور لدى ملايين العراقيين الشيعة فحسب، الأمر الذي كان يدفع بالنِظام العراقي لأن يستشعر منه خطرًا شديدًا.

**لم تكن ردة فعل الخزعلي -الشاب وقتئذٍ-** سوى الالتصاق بنجل «مُعلمه» الوحيد الذي بقي على قيد الحياة: «مُقتدى الصدر»، وأن يكون واحدًا من أكثر الأوفياء له في السنوات الأربعة التي فصلت بين اغتيال الصدر الوالد وصعود مُقتدى السياسي، بعد الغزو الأميركي عام (٢٠٠٣).

**وأثناء إعلان الصدر الابن «المقاومة» بوجه الاحتلال الأميركي** كان الخزعلي الناطق الرسمي باسم «جيش المهدي» الموالي للصدر.

**لكن بوادر الشقاق الأول بين «الشابين» بدأت اعتبارًا من النصف الثاني من عام (٢٠٠٤)**؛ فالخزعلي اتهم الصدر بمُهادنة الاحتلال، بعد توقيع جيش المهدي على وقف إطلاق النار مع الحكومة العراقية في ذلك العام.

**والصدر اتهم الأخير** بتأسيس جماعة خاصة ضمن جيش المهدي، مع عبد الهادي الدراجي وأكرم الكعبي.

**إلا أن العديد من أحاديث الساسة العراقيين** تذهب إلى أن نوري المالكي، والعديد من قادة حزب الدعوة -المنافس الشيعي للتيار الصدري- كانوا يدعمون قيس الخزعلي سرًّا؛ ليخلقوا شقاقًا سياسيًّا وشعبيًّا وعسكريًّا ضمن التيار الصدري.

**علمًا أن مقتدى الصدر اشتكى من عنف الخزعلي ومن طائفيته!** وقال في مقابلة تلفزيونية أن الأخير ردّ على اختطاف شقيقه من قبل ميليشيا سنية، باختطاف (١٥٠٠) عراقي سني، مصير الكثير منهم ما زال مجهولًا!

**على أن خلافات الطرفين -ضمن وعلى جيش المهدي، وأجنحته غير الرسمية-** بقيت غير واضحة إلى أواخر عام (٢٠٠٨)، فحينما شنّت الحكومة العراقية عمليتها العسكرية الشهيرة على جيش المهدي؛ والتي سُميت: «صولة الفرسان»، وأدت لأن يحل الصدر جيش المهدي، ويبني تنظيمًا جديدًا سماه بـ: «لواء اليوم الموعود»، صارت ميليشيات «عصائب أهل الحق» التي كان الخزعلي قد أسسها مع قادة آخرين من التيار الصدري قبل ذلك بسنوات أصبحت مستقلة تمامًا عن جيش المهدي عسكريًّا، وعن «سطوة» مُقتدى الصدر أيديولوجيًّا وسياسيًّا.

**منذ ذلك الوقت، والعلاقة بين الرجلين تشهد اتهامات غير مُباشرة يتبادلانها في كل مناسبة،** الخزعلي يتهم الصدر وتياره السياسي بأنهم كانوا يهادنون المُحتل الأميركي، بينما يتهم

الصدر الخزعلي بموالاة إيران والتخلي عن مصالح التيار الصدري وقواعده الشعبية، وإغراق العراق -وبالذات العاصمة بغداد- بموجة الصراع الطائفي الدامي.

**اعتقل الخزعلي مع بعض أفراد عائلته وقيادات ميليشياته** من قِبل القوات البريطانية جنوب العراق عام (٢٠٠٧)، وبعد أكثر من سنتين ونصف من اعتقاله خطف مُناصروه خمس خبراء بريطانيين ضمن وزارة المالية العراقية، وتمّت مبادلتهم بالخزعلي في أواخر عام (٢٠٠٩).

**بعد خروجه من السجن** بدأ المرحلة الثالثة من سيرته السياسية، فالعراق وقتها كان يعيش مرحلة «استراتيجية أوباما»؛ التي تسعى لأن تنسحب من العراق عسكريًّا وسياسيًّا، حينها سعى الخزعلي لأن يستثمر خبرته العسكرية سياسيًّا، **لكنه كان يُعاني من ثلاثة مُعضلات رئيسة:**

**لم يكن الرجل صادرًا من خلفية عائلية دينية شيعية «عريقة»**، تستطيع أن تؤمن له شعبية وقواعد اجتماعية راسخة الولاء، كما هو حال أبناء الجيل الثالث للعائلات الدينية، مثل: آل الصدر والحكيم والخوئي، لذا؛ بقي مُعتمدًا على بضعة آلاف من المقاتلين في ميلشياته وعائلاتهم؛ الذين لم يستطيعوا أن يوصلوا إلا نائبًا واحدًا إلى البرلمان، من تجمعهم الانتخابي الذي سمى نفسه بـ: «الصادقون»، في انتخابات عام (٢٠١٤).

**على رُغم ولائه السياسي وارتباطه العسكري والمالي بالأجهزة الإيرانية؛** إلا أن الأخيرة بقيت ترى الخزعلي كجهة وقوة مليشيوية فحسب، وليس طرفًا سياسيًّا رئيسيًّا؛ كحزب الدعوة والمجلس الأعلى وفيلق بدر -فيما بعد-.

**لم يدخل الخزعلي وتنظيمه** ضمن دورة استغلال الوزارات والمؤسسات العامة العراقية؛ كما فعلت باقي التنظيمات والقوى السياسية الشيعية؛ التي تحولت لتيارات سلطوية تعتمد على أجهزة الدولة لتوظيف مناصريها، والسيطرة على دورة الحياة العامة الاقتصادية والإدارية والبيروقراطية.

**شكل تمدد تنظيم داعش ضمن مناطق المُثلث السُّني العراقي في صيف عام ()٢٠١٤)** مناسبة لأن يبدأ الخزعلي رابع مراحل مسيرته السياسية، فعودة العشرات من قادة تنظيمه العسكري من إيران، وتلقيهم الدعم المالي والاعتراف الشرعي من الدولة العراقية وسّع من نشاطهم في كافة مناطق العراق في محاربة داعش.

**وحتى في الدول الإقليمية؛** فعصائب أهل الحق تعترف بمشاركتها في الحرب في سوريا، كما أن الخزعلي أعلن أكثر من مرة تأييده لمليشيات الحوثي في اليمن، وقوى المعارضة البحرينية الشيعية، وطبعًا تربطه علاقة وثيقة مع حزب الله اللبناني.

**لأسباب مُركبة، تتعلق بالتطابق الرمزي والتشابه في السلوك والمُعايشة اليومية لآلاف المُقاتلين؛** فإن الخزعلي يُعد -راهنًا- واحدًا من القادة الشعبيين بين مناصريه، وواحدًا من الشخصيات السياسية التي يتوقع لها أن تصعد في الحياة العامة العراقية في المُستقبل المنظور.

**إلا أن ذلك يتوقف على أمرين:** إمكان مُشاركة مليشيات الحشد الشعبي في الانتخابات البرلمانية القادمة في شهر (أيار) القادم.

**والأمر الآخر** يتعلق بما سوف تتوصل إليه الحكومة العراقية من اتفاق مع الجانب الأميركي حول مُستقبل ميليشيات الحشد الشعبي في مرحلة ما بعد داعش، فالخزعلي لا يُمكن له أن يشكل زعامة سياسية أو شعبية من دون إسناد ومُساهمة في النشاط الميليشيوي.

## مايك بينس .. الراعي الأول للأصولية

د. أحمد جميل العزم- الغد الأردنية، ٢٠١٧/١٢/١٢

**من المؤمل استمرار الأطراف الفلسطينية والعربية** في عمليّة مقاطعة نائب الرئيس الأميركي مايك بينس، في زيارته المقررة للمنطقة.

**والمهم - أيضًا -** أن توضع المقاطعة في إطارها الأوسع؛ الذي يتعدى قرار الاعتراف الأميركي الأخير بالقدس عاصمة لإسرائيل.

**إلا أنّ بينس** يلعب دورًا خطيرًا في «تديين» الصراعات، وخلط الدين بالسياسة.

**وقدّم قبل أيام خطابًا توراتيًّا واضحًا** في تبرير دعم الإسرائيليين، وهو يهيّئ لتولي الرئاسة الأميركية، بنشر أنصاره من العقائديين داخل مؤسسات القضاء والحكم الأميركية لتكون مهمته أسهل من مهمة ترامب في تمرير ما يريد .

**في خطابه في احتفالٍ بالذكرى السبعين لقرار التقسيم** الصادر عن الأمم المتحدة، رقم (١٨١)، قبل أيّام؛ احتفى بدور القرار بنشوء إسرائيل، ولكنه اعتبر الفضل الأساسي لقيام هذه الدولة هو: وجود «المسدس بيد، والمحراث بيد».

**وأنّ** نشوء إسرائيل تجسيد لنبوءة توراتية: «هل لبلد أن تولد في يوم، ولأمة أن تولد في لحظة».

**وأنّ** «المستحيل عدم ملاحظة أنّ يد السماء تقود ناسها، تكتب تاريخهم في اعادة بناء هذا الشعب القديم على الأرض التي ولدوا عليها».

**وأخبرهم:** «قضيتكم قضيتنا، وقيمكم قيمنا، وقتالكم (Fight) قتالنا».

**وقال أنّ زيارته القادمة للقدس هي لكي** «يمشي على الأرض المقدسة للمدينة المقدسة؛ التي بناها الملك داود قبل أكثر من (٣٠٠٠) عام».

**في عددها الذي سيصدر مطلع العام المقبل** تنشر مجلة «اذا أتلانتيك» تحقيقًا طويلًا، يبدأ بصورة بينس في زيٍ ديني تعبيري، وتُقدّم تفاصيل حياته، وما يفعله الآن، تمهيدًا لتولي الرئاسة.

**أثناء دراسته في الجامعة** تحالف مع مجموعات فيها المتدين وحتى مدمن المخدرات، والهدف هو: الانتخابات.

**انتقل من الكاثوليكية إلى الإنجيلية،** في إطار عمليّة تسييس جزء من هذا التيار وزيادة دوره السياسي.

**وفي حملته الثانية الفاشلة لدخول الكونغرس،** عام (١٩٩٠)، كانت أحدى دعاياته: كاريكاتير صورة شيخ عربي يشكر منافسه الديمقراطي على دعمه مصالح النفط الأجنبية، وبعد فشله الانتخابي تحول إلى مذيع يهاجم ما يراه انحلالًا أخلاقيًّا، والأغاني الحديثة، وغير ذلك، حتى عاد للانتخابات مجددًا - لاحقًا -.

**وتذكّر المجلة بتصريح صحافي لبينس عام (٢٠٠٢) يقول فيه:** «تأييدي لإسرائيل ينبع إلى حد كبير من إيماني الشخصي»، واعتبر أنّ الإسرائيليين هم أتباع إبراهيم، وأنه سيحصل على البركة إذا باركهم، وعلى اللعنة إذا أساء لهم.

**تتساءل المجلة:** كيف يوفق بين «خدمته» لدونالد ترامب؛ الذي يفتخر بصورة قديمة له يعلقها في مكتبه، وهو غلاف مجلة «Playboy» للتعري، ومع وجود فيديوهاته عن تحرشه بالنساء؟!

**وتوضح المجلة** كيف يقدّم بينس إجابة دينية عن إطاعة القائد (ولي الأمر) وخدمته؟!

**مقابل لعب دور مطفئ الحرائق لزلات ترامب،** ومقابل موازنة صورة الرئاسة بظهوره بمظهر رجل السياسة المتزن العاقل؛ يحصل بينس على مكاسب.

**وأحد عناصر أجندته هي:** تعديل القوانين الضريبية وقوانين أخرى تقوي الشركات التي يمتلكها متدينون.

**ومن مكاسبه:** أنّ غالبية الوزراء الحاليين من جماعته الدينية، وجرى إدخال قاضٍ للمحكمة العليا من ذات الجماعة.

**واحتفل يوم (٣ آيار-مايو)** مع مجلس استشاري انجيلي خاص للرئيس الأميركي ترامب، في حفل عشاء، في البيت الأبيض، بعد أن وقّع ترامب قرارًا زاد من الهامش المسموح به لرجال الدين لنشر وجهات نظرهم السياسية الخاصة في كنائسهم، وحرية الحديث بشأنها (أي: توظيف الدين للسياسة) .

**بينس جزء أساسي من تحالف رجال الأعمال الصهاينة الأميركيين مع الصهيونية المسيحية،** وهو يستند لتبريرات دينية في دعم إسرائيل، ويتعهد علنًا بمحاربة أي منظمة دولية تعترف بالفلسطينيين.

**وهو كذلك يعلن موقفا واضحًا** في عدم احترامه العرب، بما في ذلك دول الخليج النفطية، ويعتبر النفط العربي خطرًا.

**وهذا الخطاب سيستفز أصوليات وقوميّات مضادة،** ستضرب في كل مكان وليس ضد الأميركيين حصرًا أو بالضرورة.

**والأخطر: لديه أجندة لتولي الحكم بنفسه،** مع زيادة نفوذ مؤيديه أصحاب ذات المعتقدات في المؤسسات المختلفة؛ ليقضي على فكرة «حكم المؤسسات».

**وبحسب المجلة؛** فإنّ جمهوريين وبينس يعتقدون أنّه قد يتولى الرئاسة -قريبًا-، إذا جرى إبعاد ترامب لأسباب قانونية، أو في انتخابات (٢٠٢٠).

**التصدي لبينس وزيارته رفضٌ لمشروعٍ كبيرٍ جدًّا!**



الاستراتيجية
الصهيونية تجاه القدس
إحلال اليهود
وتمكينهم من
اقتحام
الأقصى
طمس المعالم
الاسلامية وتهويد المكان
حفريات
أسفل المسجد الأقصى
طرد
المقدسيين
وقمعهم
بناء
جدار الفصل
العنصري
بناء المغتصبات
الصهيونية
مركز
بيت المقدس
للدراسات التوثيقية